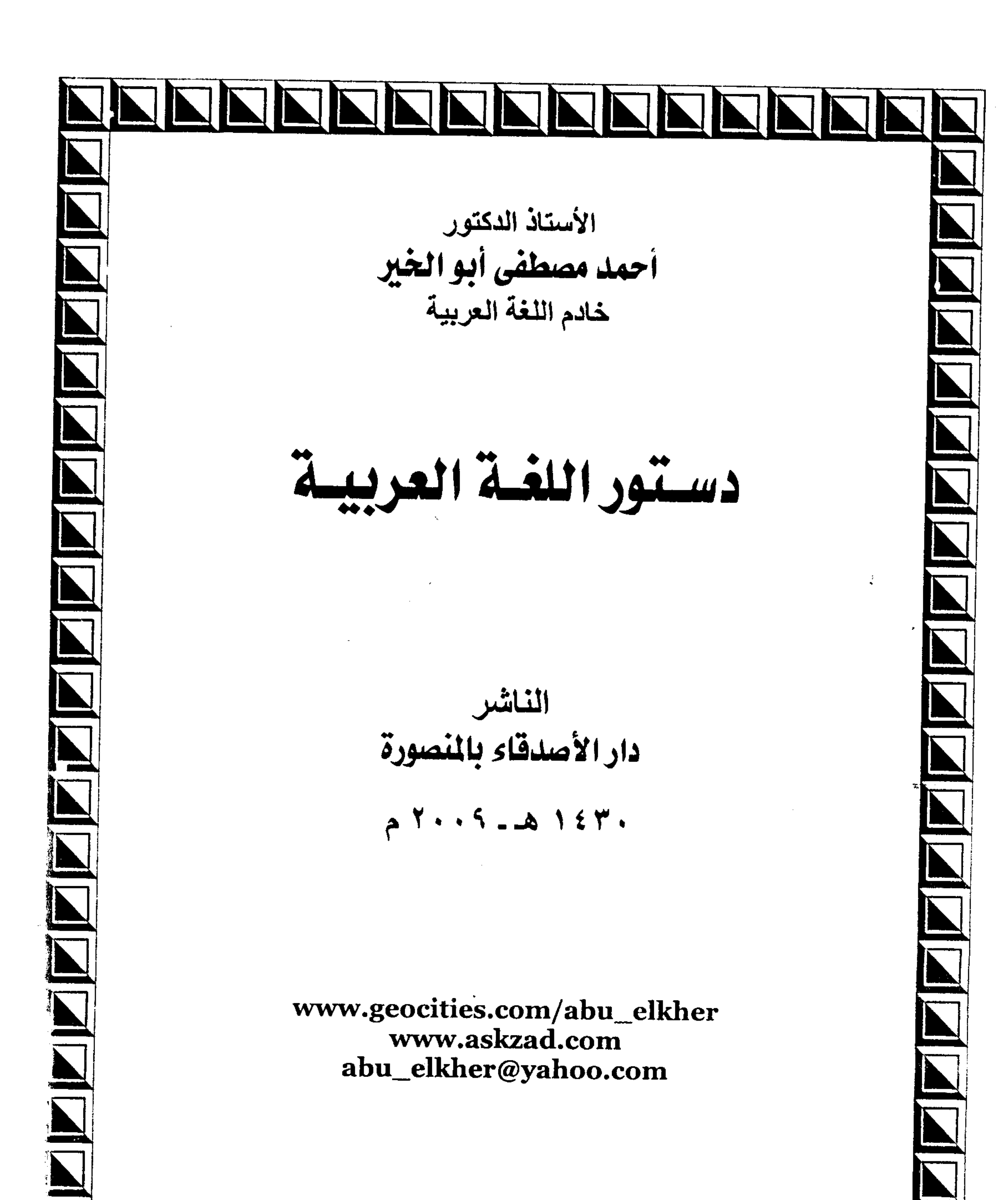


الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
خادم اللغة العربية

دستور اللغة العربية

الناشر
دار الأصدقاء بالمنصورة
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٩/١٥٨٩٢

الإهداء

إلى مثقفة العربية و مشيختها وفرسانها ، إلى كل شغوف ، محب واله بالعربية ، إلى كل من يعرف لغتنا ، إلى هؤلاء جميعا أقدم دستور العربية ، راجيا أن يكون لجمهور العربية ومحبيها رأي وتعليق على كل مادة من مواد هذا الدستور.

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

خادم اللغة العربية

بين يدي الدستور

نشأت وربيت في مدرسة القرآن الكريم منذ البدء والبداية ، ثم وجهت بأقدار الله واستشارة المخلصين من أسرتي ، إلى دراسة العربية في دار العلوم ، تخرجت عام ١٩٧٠ ، بعدها بعامين انخرطت في الدراسات العليا ، بدأت بالقراءات القرآنية ، في الماجستير والدكتوراه مع أستاذي الجليل المبجل الدكتور عبد الصبور محمد شاهين ، فأدركت أن العربية وتاريخها لا يفهمان بدون القراءات القرآنية ، شاذة أو صحيحة.

عشقت اللغة العربية ، خدمتها مخلصا متفانيا ، في الخارج والداخل على السواء ، درَّست وعلمت العربية في شتى المراحل قبل الجامعية ، وفي الجامعات المصرية وغير المصرية ، كما سيأتي ، ثم تشرفت منذ عام ١٩٩٦ فأصبحت عضوا في كتيبة الدفاع عن العربية في الوطن : الجمعيات الراعية للغة العربية في مصرنا (لسان العرب ... - التعريب - حماة اللغة العربية).

وفي وسائل الإعلام منافح مجاحش قوي عن العربية ، في الصحافة والتلفاز والإذاعة ، وعلى الشبكة أيضا ، موقعي (منار العربية) زاره إلى الآن ما زاد عن ٢٠ مليون زائر ، والله المستعان.

ولما ضاق موقعي على ملاحقة ما نكتب ونسطر تحولت إلى مواقع أخر دولية منها : www.askzad.com www.allesan.org

فضلا عن مواقع أخرى تتلقف ما نكتبه ونقوله في وسائل الإعلام المختلفة أو الندوات والمؤتمرات .... الخ.

خدمت العربية ودرستها في إفريقية (نيجيريا) وفي آسيا (ماليزيا) وفي أوربة (أكرانيا) مع إلمام بكل نبض للعربية خارج الوطن ، وعلاقات قوية بزملاء التخصص والمستشرقين على مستوى العالم ، من أقصى الشرق في آسيا ، إلى أقصى الغرب ، منهم أ.د أحمد شيخ عبد السلام ، تعلم في نيجيريا ، ويعمل في الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا) المستشرق العملاق كيس فيرستيخ في الجامعة الكاثوليكية في نيمخن ، هولندة ، المستشرق يوهان مولمان في جامعة ليدن في الأراضي المنخفضة.

وفي البحوث كان لنا طموح أن نكتب دراسات غير تقليدية وغير نمطية ، بل متميزة رائدة ، فكان لنا ما قدر الله من تحقيق تطلعاتنا الطموح ، فكانت مثل هذي العناوين :

١- القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل .. عام ١٩٩٧.
٢- الألفاظ التي جمعت مصححة - ومكسرة في القرآن الكريم .. ١٩٩٨.
٣- الصرف العربي والنحو .... جمعت العلمين كليهما في ٢١٠ صفحات ، ليس إلا ، عام ٢٠٠٤.
٤- عبقرية اللغة العربية .. جمعت كل الملاحظات التي رأيتها في كتابة الصرف العربي والنحو ، وهي مائة صفحة فقط ، عام ٢٠٠٥.

ونكتفي بما ذكر - أمثلة ونماذج فقط - دون عد أو حصر ، في إطار البحوث غير النمطية في لغتنا ، لننتقل إلى المحور التالي في بحوثنا ، الدراسات البينية ، مثل (التراث العربي في كتب تفسير الأحلام ، دراسة في بحوث اللسان والمكان وتاريخ الإنسان في ذات العام).

ثم انطلاقة إلى مجال أرحب ، بعيدا عن ضيق التخصص ومحدوديته وقيوده ، والانكفاء حواليه وعليه ، مثل :

- أخلاق الفرعون كه حكاها القرآن الكريم .. ٢٠٠٧ ، والذي حظي بمناظرة تلفزيونية في فضائية التعليم العالي القاهرية مايو ٢٠٠٩.
- الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية .. ٢٠٠٨.
- الاتفاقية الدولية لحماية التنوع الثقافي ، قراءة وملاحظ ، في ذات العام.

ثم ؟ ثم ترجمنا المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي التي قدمت عام ١٩٩٤ إصدارا خاصا تحت عنوان : Arabic outside the Arab World تضمن مقدمة لمحرر العدد كيس فيرستيخ ، ثم بحوثا عن العربية في : (أندونيسيا - إيران - فلسطين المحتلة - مالطة - الولايات المتحدة) فضلا عن بحوث عن المهاجرين العرب إلى : (البرازيل - لندن - هولندة - ألمانيا) وقد ترجمنا كل ما سبق بالتعاون والاشتراك مع الزميل الكريم الدكتور أحمد فريد عبد الشافي في كلية التربية النوعية بالمنصورة. وقد صدرت هذي الترجمات على مدى عشر سنين بالتقريب ، من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٨ ، عمل اتسم بالدقة والإخلاص والتحقق والتمحيص.

ثم بدأنا هذي المشروع العملاق (ما له وجهان ...) انتهينا من الحلقة الأولى منه (الكتابة والصرف) ثنينا بالنحو والبلاغة ، على أمل أن يمتد عملنا إلى ، القراءات القرآنية والمعاجم العربية ، ومصادر لغتنا لتظهر الصورة الجلية النقية الناصعة للعربية ، روح التيسير والسعة والانفتاح هي السائدة المسيطرة الرافضة لروح القسر والاتجاه الواحد ، وأحادية الاتجاه في كل الأمور والأشياء.

ولكن هذه الفكرة قادتنا إلى فكرة مهمة بالغة الأهمية هي أن لغتنا العربية دقيقة دقيقة تصل أحيانا دقة الرياضيات، هي ليست فوضى سبهللة ، تفوح من كل جوانبها روح الشذوذ والاستثناءات ، لها دستور دقيق عليه تسير ، وتعتمد.

وحين عرضت الفكرة على مختصي العربية وفرسانها لاقت لديهم استحسانا كبيرا ، بل تلقفت الفكرة بعض المواقع الإلكترونية وسلطت عليها الأضواء.

وقد كان كل ما سبق ضروريا ليفهم القارئ أن فكرة دستور اللغة العربية لم تأت عفو الخاطر ، في سياق منعزل فجائي أو فكرة هبطت عليّ من علٍ أو علوّ ، إنما جاءت تتويجا لعمل شاق وطويل في تعلم وتعليم العربية وخدمتها التي امتدت ٤٠ عاما منذ تخرجت في كلية دار العلوم عام سبعين من القرن العشرين إلى يوم الناس هذا ، وليلتهم المباركة هذي.

فكيف بالله عليك نفيد من دستور اللغة العربية ، وما الثمر المرجوة منه :

١ ـ مدخل جديد في دراسة العربية وتعليمها يركز على الخصائص العامة الحاكمة في لغتنا ، بعيدا عن الهوامش والتفاصيل التي ينسى بعضها بعضا ، وخاصة في النحو العربي ـ كما سيأتي ـ فضلا عن بيان روح التيسير والسعة وسيادتها المتفوقة على الرأي الواحد ، والاتجاه الإجباري الواحد الوحيد.

فالاسم الواقع بعد لاسيما إن كان نكرة صح فيه الرفع والجر والنصب ، وإن كان معرفة كان له الرفع والجر فقط ، ولا يتأتى له النصب ، لأنه ينصب على أنه تمييز وهو لا يكون معرفة البتة ، يجب أن يكون نكرة ، ليس إلا ، هذا شان الاسم الواقع بعد لاسيما في إعرابه، يمكن أن يقال وأن ينفهم في سطير واحد ، أو سطير ونصف ، لكنه ياتي في كتب النحو محاطا بكثير من التفاصيل التي ينسها بعضها

كما يتضح لنا ورح التيسير والرفق التي تتبدى أمام كل من كان له بقية من قلب وعقل أو ألقى السمع ـ هو شاهد وشهيد ، يعرب كل إعرابات الأسماء ، اللهم إلا إذا كان معرفة ، فإنه لا ينصب لما ذكر قبلا.

٢- إن هذا النوع من التعاطي والنظر إلى اللغة العربية على أن لها دستورا ، ولات عنه مناص ، ولا خروج ، سوف يتيح دراسات تقابلية بين العربية وبين اللغات التي يتعلم أبناؤها لسان العرب ، أو اللغات التي يتعلمها بنو يعرب ، هذي الدراسات التقابلية تركز على الأسس والقواعد الحاكمة ، بعيدا عن الهوامش والحواشي والأطراف والتفاصيل التي يمكن أن تشوش على الصورة الحقيقية للغة العربية.

فالحركات العربية هي أقل عدد من الحركات في لغات العالم قاطبة :

u i
a

الكسرة والضمة والفتحة ، في حين إن النظام الشائع في عدد من اللغات هو خمس حركات :

u i
o e
a

الكسرة والكسرة الممالة ، الضمة والضمة الممالة ، ثم الفتحة ، كما نجد في اللغة الأسبانية ، ولعلها تأثرت باللهجات العربية ، وكذا نجد هذا النظام الخماسي في اليونانية الحديثة ... الخ.

ولم تكتف العربية بهذا المنحى من البساطة في قمة سامقة لهذي البساطة ، بل أضافت إليها نحو إلى الثراء العبقري حين قسمت ذات الحركات عينها إلى قصار

وطوال ، فكان نظام الحركات في العربية مما لا نظير له ولا مثيل في لغات العالم ، كما سيأتي تفصيله ، وفي مكانه ، إنه يجمع بين البساطة والثراء.

٣- وعندما يقول دستور العربية بأن الكلمة في لغتنا هي ربعة بين كلمات اللغات ، وهذا واضح عندما نقارن العربية بالألمانية والإنجليزية - مثلا - كما أنه من ناحية أخرى يتيح لنا فهم تصرفات في عربيتنا وسلوك رُبما كان غامضا غير مفهوم قبلا ، مثل :

أ - لماذا تحذف العربية من الكلمة الطويلة ، ولا تحذف من القصيرة ، ففي النسب إلى (ليبيا - كندا) تحذف الألف ، لتصبحا (ليبيّ - كنديّ) بل في الكلمة الأولى حذفت الياء التي قبل الألف المدية أيضا ، لماذا ؟ الكلمة طويلة تحتمل الحذف.

لكن في مثل (ربا - شطا) النسب (ربوي - شطوي) الألف المدية لم تحذف ؛ لأن الكلمة قصيرة لا تحتمل الحذف ، أما أن الألف تحولت إلى واو لتناسب ياء النسب بعدها.

ب - إذا بقيت الكلمة العربية على صامت واحد ، كما في الأمر من اللفيف المفروق (وقى/ يقي/ قه) كانت هاء السكت واجبة باتفاق العلماء ، فإن زادت الكلمة إلى صامتين (لم يقه) اختلف أئمة اللغة في جواز الهاء أو وجوبها ، فإن كانت الكلمة على ثلاثة فأكثر اتفقوا على جواز الهاء قولا واحدا ، وهكذا ؛ لإيجاد توازن بين الكلمات ، فلا تكون إحداهن فاحشة الطول والأخرى واضحة القصر.

٤- إن مشروع دستور العربية سوف يضع كل شيء ، في تراثنا في مكانه ، من حيث :

أ - إخراج موضوعات ، هي ليست من الصرف في شيء ، ووضعها في مكانها ، مثل (الإمالة) هي ظاهرة صوتية لهجية بامتياز ، ليس لها من صرف الفصحى محل ، هي موجودة في اللهجات العربية ، القديمة منها والحديثة ، وفي القراءات القرآنية ، صحيحة وشاذة ، خاصة في غير رواية حفص عن عاصم ، كما سيأتي.

كذلكم الوقف والإعلال والإبدال ، هي ظواهر صوتية ، تدرس في مستوى الأصوات ، ليس الصرف ، حتى تفهم فهما جيدا ، وحتى تفيد في مكانها ، إذا لا فائدة ترجى من دراستها في تعليم الصرف ، من وجهة نظرنا.

انظر إلى واو المد حين تحول إلى ياء مد في دروس الإعلال ، إنه شيء غير مفهوم ، ولكن حين تضع الظاهرة في مكانها ، أي في مكانها من علم الأصوات ، وفي إطار دستور اللغة العربية ، وخطها العام الحاكم المسيطر على قواعدها الفرعية يتضح مثلا أن الواو في (أدلو) جمع (دلو) تحولت إلى ياء ، وكذا في (خسرو) التي تعربت إلى (كسرى) بألف مد في النطق ، وياء في الكتابة لأن الاسم المعرب لا ينتهي بواو مد ألبتة ، ومن ثم تحولت هذي الواو إلى ياء في (أدلى) وإلى ألف مد في (كسرى).

ب - لقد اتضح لنا أن إحدى مشاكل النحو الحقيقية التفاصيل الكثيرة المطولة والمملة التي ينسى بعضها بعضا ، والتي تشوش كثيرا على متعلم العربية ، إنها مدخل خاطئ لتعليم قواعد العربية ، وبشكل أشد ضررا في تعلم العربية، أو البدء في تعلمها.

حين نركز على الأسس والقواعد نجد مدخلا سهلا ومنطقيا لتعليم النحو ، خاصة الإعراب والذي يتصوره الناس ، أو يتصور الناس أنه النحو ، وأن الأخير هو الإعراب ، لا شيء غيره ، في حين هو جزء ، جزء فقط من النحو.

نحن نبدأ مع الطالب - عربيا أو غير عربي - من تعريف النحو ذاته ، النحو ؟ ما هو ؟ النحو (نظام الجملة) كل ما يخص نظام وتنظيم الجملة ، الإعراب جزء من نظام الجملة ، الصرف نظام الكلمة ، فكل ما يخص نظام الكلمة هو من الصرف ، أو هو الصرف ذاته.

وفي الإعراب نبدأ المسألة من تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، نبدأ من الأخير ، فنحفظ الطلاب ، ونحفظ معهم :

قاعدة كلية : الحروف كلها مبنية

وعندما ترسخ هذه القاعدة الكلية نبين للمتعلم أن البناء يكون على الفتح أو الضم أو الكسر أو السكون ، على تفصيل ما سبق.

بعدها ننتقل إلى الأفعال ، الأصل فيها البناء ، الماضي مبني ، الأمر مبني ، المضارع كذلك وكذلكم مبني ، المضارع ؟ نعم ، نعم ، إلا إذا خلا من نون التوكيد أو النسوة ، عندها فقط يعرب ، وبطبيعة الحال إذا اتصلت به النونان السابقات بني كأخويه الماضي والأمر ، وبذات الطريقة.

أما الاسم فالأصل فيه الإعراب ، والقليل منه مبني ، وكذا الأصل فيه التنوين ، ولا يحرم منه إلا لسبب مبرر ، وفي معربات الأسماء مرفوعات ومنصوبات ومجرورات نبدأ بالأخيرات ، لم يا أخا العرب ؟ لأسباب ، على رأسها :

- كثرة المجرورات من الأسماء ، على غيرها من المرفوعات والمنصوبات.
- ليس هذا فقط ، بل إن أسباب الجر محدودة محصورة في الإضافة وحرف الجر ، إضافة إلى التوابع الأربعة (النعت - الصفة - العطف - التوكيد) ثم ما سماه النحويون بحركة الإتباع ، أو الجر على المجاورة (هذا جحر ضب خرب) جروا الاسم الأخير بسبب مجاورته لمجرور قبله ، لأن كلمة (خرب) وصف للجحر ، ليس للضب ، الجحر هو الخرب ، وليس ساكنه الضب [1].

لكن ترى ما هى تيكم الصعوبات التى برزت فى طرق عملنا ؟ كثيرة هي وهيه منها :

١- أنت تكتب دستور اللغة العربية ، مسألة شاقة مخيفة تحتاج إلى قدر كبير من الجرأة ، والتحلي بروح المسئولية ، النجاح دوما لا يأتي عفوا ، بل يحتاج قدرا كبيرا من الجراءة والإقدام ، المغامرة.

صحيح أننا سوف نعرض هذا الدستور بعد اكتمال صياغته على جمهور مثقفي العربية وفرسانها ومشيختها للتصويت عليه ، ما يتيح للناس أن يقولوا رأيهم في هذي الفكرة :

- الموافقة.
- المعارضة.
- تعديل بعض المواد.
- أو التعقيب عليها.

وذلك عبر موقع خاص لهذا الدستور ، فضلا عن وسائل أخر ، منها :

(1) الضب : حيوان صغير ، من جنس الزواحف ، من رتبة العَظاء ، غليظ الجسم خشن ، له ذنب عريض حرش أعقد ، يكثر في صحاري الأقطار العربية ، المعجم الوسيط ، مادة (ض ب ب).

- وسائل قصيرة عبر المحمول أو الحوار.
- البريد العادي.
- البريد الإلكتروني.
- المقابلة الشخصية.
- عبر الصحافة أو وسائل الإعلام.

٢- ومن صعوبات العمل أيضا كثرة المادة العلمية التي جمعناها ، وهي تعتبر الأضخم في أعمالنا - على كثرتها - هذه المادة الضخمة احتاجت إلى وقت طويل، وصبر جميل حتى تم تصنيفها وفهرستها ، ووضع كل معلومة في مكانها المناسب.

٣- ليس هذا فقط ، بل إن ترتيب مواد الدستور بعد تصنيفها وتبويبها احتاج إلى كثير من الحرص والعناية والرعاية ، بدأب ومعاودة نظر ما أمكن.

كما حاولنا وضع عناوين للمواد المرتبة ترتيبا هو أقرب إلى الدقة - في نظرنا - حيث وزعنا المواد على العناوين الآتية ، وبذات الترتيب :

- أسس وعموميات.
- الكتابة والأصوات.
- نظام الكلمة.
- نظام الجملة.
- البلاغة.
- القافية والعروض.
- أصوليات (أقيسة وعلل).
- الخاتمة.

كما يشار أيضا إلى أننا سنكتب نص المادة في مربع ، ثم يأتي ما يفتح الله من شرح للنص والمتن.

٤- توزيع المادة العلمية المجموعة ، على مواد الدستور المختلفة ، مادة مادة ، احتاج إلى جهد كبير - وتحري / تحرٍ ، وحذق ومهارة.

ولكن النية ماضية والعزم على أتم الجهوزية لإتمام هذا المشروع الرائد في خدمة لغتنا ، كي نستكمل المشروع الذي بدأناه ، والذي أوحى بفكرة دستور العربية، ألا وهو مشروع ماله وجهان ، لقد انتهينا من الكتابة والصرف - كما سلف - وعندنا المادة جاهزة في النحو والبلاغة ، بعد الفراغ من كتابة ماله وجهان في القراءات القرآنية ، ثم المعاجم العربية ، ثم بقية مصادر العربية ومراجعها ومظانها لنخرج من كل هذا بمعجم موسوعي لما له وجهان فاللغة العربية ، في طولها وعرضها ، وخريطة كاملة متكاملة لما له من وجهين أو أكثر في لغتنا ؛ كل هذا لتتضح روح التيسير والسعة في لغتنا العربية - كما سبق العزم والإشارة إليه - التي نزل بها آخر كتاب سماوي من رب العالمين، حمله - عليه السلام - جَبرائيل إلى قلب النبي الأمين، خاتم المرسلين ، سيد الأولين والآخرين ، محمد - صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين المطهرين - وإلى الملتقى في تقديم عمل آخر.

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
خادم اللغة العربية
www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com

أسس وعموميات

المادة الأولى

{١}

اللغة العربية من أقدم اللغات في العالم إن لم تك أقدمها على الإطلاق

كيف بالله عليك ؟ الحق أن هذا العالم بملياراته الستة ونصفها يشهد الآن حسب بعض التقديرات ٦,٨٠٠ لسان، أقل من سبعة آلاف لغة ، معظمها لغات أقلية وقليل منها يحظى بمليون أو أكثر من المتكلمين :

١- نصف هذا العدد ، أي حوالي ٣,٤٠٠ يتكلمها أقل من ١٠,٠٠٠ نسمة.

٢- ربع العدد أي ١,٧٠٠ تقريبا يتكلمها أقل من ألف من الأناسي.

٣- عشرون لغة فقط تحظى بمئات الملايين من المتكلمين.

٤- الأغلبية الساحقة من لغات هذا الزمان هي لغات قريبة العهد ، لا يتعدى عمرها بضعة قرون ، ليس إلا ، وهذي أمثلة ثلاثة :

أ - اللغة الإنجليزية صاحبة الصيت المدوي والصوت العالي لم يبزغ نجمها إلا منذ تسعين عاما ، ليس غير ، سنة ١٩١٩ استطاع الرئيس الأمريكي ولسن أن يجعل معاهدة فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى - تكتب باللغة الإنجليزية مع الفرنسية ، ومن ذياك الوقت فرضت الإنجليزية نفسها في الدبلوماسية ثم العلاقات الاقتصادية والإعلام والاتصالات ... [(١)].

ولكن أول نص أدبي باللغة الإنجليزية كان في القرن السادس عشر الميلادي.

---

(١) أبوالخير - اللغة العربية في القانون الدولي ، انظر ص١٧.

ب ـ في حين كان أول نص أدبي باللغة الفرنسية في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي ، إذ اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية أسبق زمنا بكثير من الإنجليزية.

جـ ـ مثال ثالث نسوقه هنا وهو اللغة المالطية عمرها الآن لا يتعدى خمسة قرون، أو أقل ، كيف : (أقدم نص مالطي ورد إلينا كان في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، إلا أنه لم يعترف بها كلغة رسمية إلا سنة ١٧٩٦ ، نهاية القرن الثامن عشر ، قبل قريب ٢٠٠ عام.

ليس هذا فقط ، بل إن الإيطالية كانت لغة رسمية في جزيرة مالطة حتى أسلمت الراية للغة الإنجليزية بداية القرن التاسع عشر ، ولم تصبح لغة رسمية في جزيرتها إلا نهاية الثلث الأول من القرن العشرين ، وبالتحديد عام ١٩٣٣ [(١)].

٥ـ مربط الفرس الشاهد هنا : (فقط عدد قليل من لغات العالم عاشت أكثر من ألفي سنة ، منها : لغة الباسك والعربية والصينية واليونانية والعبرية أو اللاتينية والفارسية والسنسكريتية والتاميل [(٢)]).

اللغوي الفرنسي رانكابيلياك كاتب السطور السابقات يعترف بأن العربية قد تخطت في عمرها عتبة الألفي سنة ، خطوة ومكانة لم تنلها غير قليل القليل من اللغات.

ومن اللغوي الفرنسي نهرول سراعا خفافا إلى أرض الكنانة نقتبس شيا ـ

---

(١) اللغة العربية في مالطة ، ترجمة د. أحمد فريد ـ د. أحمد أبوالخير ، انظر ص١١.

(٢) ٦٠٠٠ لغة ، تراث يستعد للقتال ، مقالة بقلم اللغوي الفرنسي رانكا بيلباك في جامعة بواتييه الفرنسية رسالة اليونسكو ، القاهرة ٢٠٠٠م.

شيئا ـ مما قال عباس محمود [1] العقاد : (لابد من أجيال طويلة مضت قبل أن تتطور العربية ، هذه التفرقة ـ الدقيقة ـ بين أحكام الإعراب أو بين صيغ المشتقات ، أو بين أوزان الجمع والمثنى ، وجموع الكثرة والقلة في الأوزان السماعية ، لابد من فترة طويلة خلت حتى تكونت واكتملت حروف العطف والجر ، وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة ، وتنفصل بلفظها عن ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها ، وهي في بعض اللغات لما تنفصل عنها حتى اليوم).

قبل هذي الكليمات يصرح [2] العقاد ـ رحمه الله : (بدأت اللغة العربية تاريخها المعروف بخصائصها المميزة لها إلى عصر سابق للدعوة الإسلامية ، يرده علماء المقارنة بين اللغات إلى القرن الرابع قبل الهجرة ، ويرجع فيما ـ العلامة العقاد ـ إلى عصر قبل ذلك).

وصلنا إذن مع العقاد إلى ألفي سنة على الأقل ، ولكن ماذا بعد ؟ أستاذنا الجليل المبجل الدكتور عبد الصبور شاهين يحاول تخمين عمر اللغة العربية ، أو (سنها) أو كما نقول في مصر (تسنينها) اعتمد على العقاد وعلى باحث آخر ، هو الأستاذ محب الدين الخطيب [3] (ولد بدمشق ١٨٨٧ هـ) ومن خلال حديث الرجلين نفهم مما قال أستاذنا [4] ما يلي :

أ ـ استعمال العربية في رأي العقاد كان على ألسنة أهلها منذ أكثر من ٣٠ قرنا = ٣٠٠٠ آلاف سنة.

ب ـ أما محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ فقد وصل بالوجود العربي إلى أبعد

---

(١) اللغة الشاعرة ، ص٣.
(٢) السابق.
(٣) انظر ترجمته في (الموسوعة الحركية) بيروت ١٩٨٠ ، ص١٠٩.
(٤) في علم اللغة العام ، بيروت ١٩٨٨م ، ص٢١٥ ، ٢١٦.

...ما وصل العقاد ... فمن المعلومات ... بخية المقررة : أول موجة هاجرت من الجزيرة العربية الى العراق كانت عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد ... قرنا = ستة آلاف سنة تقريبا

ويستشهد العلامة الخطيب برحلة الخليل ابراهيم - ابى الأنبياء عليهم السلام ... العراق ؛ حيث ولد الى الشام ومصر والحجاز . لقد استطاع - استطاع ان يتفاهم مع سكان ... م الاصقاع والارجاء ، حيث لم يوجد بين السنتها من فرق الا كما يوجد الان بين لهجات العربية في العراق والشام ومصر والحجاز وسائر هذي البلدان [1].

ومن الملاحظ أن رحلة أبي الانبياء - علهم السلام - كانت من الشرق (العراق) الى الغرب و الجنوب الغربي ، في الشام وفلسطين والحجاز ، وانتهت بمصر ، فهل كانت رحلة الخليل - عليه السلام - الوحيدة ، لم تسبق ولم تلحق ؟ كلا ، كلا :

- نبي الله ادريس - عليه السلام - رحل من بابل في العراق ، مرورا بالشام ، وانتهت الرحلة بمصر أيضا . وكانت رحلة ادريس بالتوكيد قبل رحلة الخليل - عليهما السلام

- نبي الله يوسف - عليه السلام - جاء من أرض كنعان (فلسطين) أو بالأحرى جيء به الى أرض مصر طفلا ، وبيع الى عزيز بلدنا - بوتيفار - شب في قصره ثم كان من امره ما حكاه القرآن ليتربع على خزائن مصرنا ومقدراتها مكان شاريه السابق ، وليصبح عزيز مصر الأعز.

---

(١) شاهين ، في علم اللغة العام ، ص٢١٧.

- نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ ذهب إلى العراق ، حيث ولد يوسف ، ثم عاد مرة أخرى إلى بيت المقدس ، ولكنه ذهب مرة أخرى مع أبنائه الأحد عشر وزوجه وأحفادهما إلى مصر بناء على دعوة عزيز مصر ، ابنه يوسف ، وعاش القوم ـ بنو يعقوب ـ وذريته حتى خرج من ذراريهم النبيان الشقيقان ، هارون وموسى ، عليهما السلام.
- بعد موت النبي يعقوب في مصر ، ذهب الجثمان الطاهر إلى أرض كنعان ، في مدينة الخليل حسب وصيته إلى بنيه، وكذا ابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ ذهب بجثمانه إلى مدينة جده الخليل [١].
- آخر ما نذكره من رحلات الأنبياء رحلة نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ من الناصرة في فلسطين مع أمه البتول السيدة مريم عليها السلام ، ويوسف النجار ، إلى مصر ثم العودة مرة أخرى إلى الناصرة.

على أي الأحوال فإن رحلات أنبياء الله بل الأماكن التي عاش فيها هؤلاء الأنبياء كانت تمتد من الشرق (العراق) إلى الشام وفلسطين إلى شبه الجزيرة العربية ، وانتهاء بمصر ، وربما تمتد شمالا ، أي شمال الشام والعراق ، وجنوب تركيا. أما لمناطق الأخرى من العالم في إفريقية وآسيا وأوربة ربما لم تحظ بكثافة سكانية معقولة أو كافية لإرسال أنبياء لها ـ في ذياك الزمان ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ولكن ترى : هل كان إدريس النبي ـ عليه السلام ـ قريب عهد بأبينا آدم ؟ كلا وألف كلا، لقد عاش من حياة أبي البشر فقط[١] ٣٠٨ سنوات !! فقط ؟ فقط ، فكم عاش آدم عليه السلام ؟ لقد عاش ـ عليه السلام ـ ألف سنة فقط.

---

(١) راجع أطلس القرآن وقصص الأنبياء لابن كثير.

على أي الأحوال فإنا نستطيع القول بأنه منذ عصر آدم وفي حياته ، وفي وقت مبكر جدا رجل نبي الله إدريس من العراق عبر الشام وفلسطين ثم إلى مصر ، ومن بعده أنبياء الله إبراهيم ويوسف ويعقوب وأبناؤه ثم عيسى ، ولم يذكر أنهم قابلوا صعوبة تتعلق باللغة خلال رحلاتهم هذه.

كما يذكر عن نبي الله إدريس - عليه السلام - أنه أول من خط بالقلم ، ما يدل أن البشرية كانت في بدايات الطريق نحو الكتابة ، ولهذا حديث آخر في مكانه.

ولا نعجب أن آدم - عليه السلام - عاش ألف سنة فإن نبي الله نوح - عليه السلام ، عاش فقط [2] ١٧٨٠ سنة ، منها كما يقول القرآن الكريم : (وَلَقَدْ [3] أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) بقي في قومه يدعوهم دون أن يستجيبوا حتى أخذهم طوفان الغرق فقط ٩٥٠ عاما فقط ، وقد عاش نبي الله قبل بعثه إلى الناس - بكل توكيد - وبعد الطوفان ، كما هو المفهوم من كتابنا الكريم.

وعودة مرة أخرى إلى أبي البشر آدم - عليه السلام - ما هي المنطقة أو المناطق التي عاش فيها مع أبنائه ، إنها تبدأ - حسب الروايات - من الهند حيث هبط من الجنة ، ثم جاء مكة ، ثم خرج إلى الشام فمات بها.

أما قصة ابنيه (هابيل وقابيل) ومقتل الأول على يد الثاني ، فالراجح أنها حدثت بمكة ، أو بالقرب منها ، ثم إن قابيل حين قتل أخاه هرب إلى اليمين ، أي أن

---

(١) ابن كثير - قصص الأنبياء ، ص٥٩.
(٢) السابق ص ٩٣.
(٣) ١٤ العنكبوت.

آدم ـ عليه السلام ـ عاش هو وأبناؤه ما بين الحجاز واليمن والشام ، تيكم المناطق التي كانت ضمن حركة أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ والتي تمحورت ـ كما سلف ـ ما بين العراق في الشرق ، ثم غربا الشام وفلسطين ، ثم إلى الجنوب الغربي في شبه الجزيرة ، الحجاز واليمن.

هذه الحركة التي بدأت من نبي الله آدم ، ثم إدريس ... إلى رحلة العائلة المقدسة من الناصرة في كنعان إلى مصر الكنانة.

فإذا كان محب الدين الخطيب يرى أن اللغات التي كان يتكلم بها الناس في العراق والشام والحبشة أيضا كن في العصور الأولى متشابهات بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة ، ولذا اسطاع سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز ، وأن يتفاهم مع سكان تيكم البلدان ، إذ لم يك بين ألسنتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العرب في أقصى الشرق في العراق إلى أقصى الغرب [١].

فإني أسطيع القول بأن حركة الأنبياء سبقت إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى عصر أبينا آدم ـ عليه السلام ـ حيث انتقل نبي الله إدريس ـ عليه السلام ـ من العراق في أقصى الشرق إلى مصر في أقصى الغرب ، هذا النبي الكريم عاش بضعة قرون في حياة أبي البشر ، آدم ـ عليهما السلام ـ فقط ٣٠٨ سنة.

---

(١) شاهين : في علم اللغة العام ، انظر ص٢١٧.

وفي حياة نبي الله إدريس وفي زمانه أنشئت ١٨٨ مدينة ، ما يدل على أن البشرية كانت على عهده في بدايات تحضرها ونشوئها ، ألم أقل إنه عاش من حياة آدم ٣ قرون ، ازدادوا ثماني سنوات.

وقد يقول قائل متشدق : إن المسافر يكفيه زاد قليل من اللغة ومن الألفاظ يتعامل بهما مع الناس حيث نزل أو حل !! حسبك أيها المتشدق - زعما وأوهاما ، إن نبي الله لا ينتقل من مكان إلى آخر طلب الكلأ والماء ، يلهث نحو : العنب والقطب ، والزيتون والنخل وحدائق الغلب ، أو الفاكهة أو الأب ، لا يسعى خلف بريق المال أو الجاء ، لا إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يهرول إليها ، كلا وألف كلا ، إن له رسالة يجب أن يؤديها لجماهير الناس ، ولا يكون هذا إلا عبر اللغة التي يجب أن يجيدها

بل إن القرآن الكريم ينص على (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ [1] قَوْمِهِ) لماذا يا رب (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) للناس من قومه ، ولا يكون هذا إلا بإتقان لغة هؤلاء القوم ، وفي الحديث الشريف (لم يبعث الله نبيا إلا بلسان قومه [2]).

نبي الله يعقوب مثلا كان في أرض كنعان ، رحل إلى العراق ، وعندما مات أبوه إسحق - عليهما السلام - في فلسطين ، طلب إليه أن يعود مرة أخرى إلى كنعان لإرشاد الناس ووعظهم ، فلابد أنه كان على إتقان تام للغة في كنعان ، أو للغة العربية في هذي الأرجاء ، وفي منطقة (فدان) التي كان يعيش فيها قبلا في العراق وهكذا.

---

(١) ٤ إبراهيم.
(٢) السيوطي - الدر المنثور.

وهكذا نستطيع القول بأن اللغة العربية - وإن بصور واختلافات ولهجات - شبيه بما نحن عليه الان ، خاصة فى المنطقة الممتدة من العراق مرورا بالشام وفلسطين وانتهاء بالحجاز واليمن . ثم سيناء . كما سيأتي . أو انتهاء بمصر .

ويدرك القارى بان (مصطلح لغة) كان يستخدم بمعنى . او بما يوازى ويساوى اللهجة الان . فاذا قيل الأشورية أو البابلية او الكنعانية . فان هذي كانت في الارجح لهجات متفرعات عن اللغة العربية الام.

على أي الأحوال فإن السفر والرحلة والحركة هي دوما من موهلات النجاح والرقي في حياة الأفراد العاديين ، وهي بالنسبة للأنبياء ألزم وأشد ضرورة . حتى لأسرهم وذويهم المخالطين لهم.

ان الانسان في زحمة الحياة قد ينشغل عن أبنائه وأهليه بالسعي والعمل وكسب القوت ، ولكنه عند السفر يتفرغ تماما لمن معه من أسرته إذا صاحبهم في الترحال والسفر ، يعرف كل واحد منهم على حقيقته صغيرا كان أو شابا يافعا أو شيخا كبيرا.

نخلص من كل ما سبق إلى أن استنتاج العقاد والخطيب من أن العربية تمتد عمقا فى التاريخ إلى آلاف السنين وصلت إلى ٦ آلاف سنة فهما واقتباسا من رحلات أبي الانبياء الخليل - عليهم السلام - هذا الزمن ذو الستة آلاف حول يمتد أعمق من هذا ليصل بنا إلى عهد النبي ادريس - عليه السلام - بل يصل بنا إلى حياة أبي البشر . حيث عاش نبي الله ادريس ٣ قرون من حياة الأب ادم ، مع ثماني سنين فوق هذه القرون.

لكن مما لاشك فيه أن صورة العربية ولهجتها كانت جد مختلفة عن الآن ، لعلها كانت بسيطة سهلة يسيرة يسر الحياة على أيامهم.

مرة أخرى نقول : إذا كان ظهور إبراهيم ـ عليه السلام ـ في العراق حدثا عربيا في شكله العام وإن انتمى إلى بعض القبائل التي تحمل اسم الكلدانيين ، وهم قوم من (الساميين) أو العرب بشكل [1] عام، إذا كان الأمر كذلك فإننا يمكننا القول بأن ظهور إدريس ـ عليه السلام ـ ورحلته من العراق إلى مصر يمثل حدثا عربيا أيضا ، امتد إلى جزء من حياة أبينا أدم ، عليه السلام.

وفي بعض الروايات التاريخية إشارة إلى شيء من الاختلافات في نطق بعض الأعلام ، فعندما ذهب نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ إلى مصر ، وجد الناس يطلقون على ابنه اسم (يوزارسيف) أي (يوسف) كذا عزيز مصر الذي شرف بشراء يوسف كان يسمي (بوتيفار) في قصص [2] الأنبياء يكتب اسم (أطفير) هذا الرجل الذي يعد من أشد الناس فراسة ، يقول عبد الله بن مسعود : (أفرس الناس عزيز مصر حين قال لامرأته : أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أن نتخذه ولدا، وبنت شعيب التي قالت : يا أبت استأجره ؛ إن خير من استأجرت القوى الأمين [3]).

الأخ الشقيق الوحيد ليوسف ـ عليه السلام ـ كان اسمه (بنيامين) اسم عربي الصياغة والتركيب ، إنه (ابن يمين) كلمة لا هي كنعانية ولا عبرانية ، إنما هي عربية شكلا وصياغة ومعنى.

---

(١) شاهين ـ في علم اللغة العام ، ص٢١٦.
(٢) ص ٢٣٧.
(٣) السابق.

ولا يفوتنا في هذا المقام التوكيد على أن العربية كانت كسائر لغات البشر ـ وبطبيعة الحال والأشياء ـ كانت ذات طفولة استمرت عدة قرون إلى أن شبت عن الطوق فكانت هذي اللغة المثالية الراقية التي تتمثل في الشعر الجاهلي.

هذا الشعر الجاهلي لا يمكن أن يعبر عن بداية اللغة ، ولا حتى عن بداية الشعر والأدب في لغة بني يعرب ، فليس من سنن الله في تكوين اللغات وتطورها أن تكون في منشئها على هذا النسق الرفيع والنضج المكتمل ، إنما الطبيعي والمنطقي أن تمر لغة الشعر الجاهلي بأحقاب تاريخية طويلة بمراحل تطورها هائلة ، صقلت العربية على هذه الصورة العجيبة ، فاكتمل لأصحابها ذياك المستوى الراقي من القدرة على البيان ، فصاغوه نثرا في خطبهم وشعرا في قصائدهم ومعلقاتهم ، وانتهى إلينا مما قالوه نماذج تعد قمة لا تدانيها محاولات الشعراء وبدايات البلغاء على مر الزمان.

وهذا مثال به يتوكد ، ويتضح المقال [1] :

ولقــد ذكرتـــك والرمـــاح نواهـــل

منـى ، وبـيض الهنـد تقطـر مـن دمـي

فـــوددت تقبيـــل الــسيوف لأنهـــا

لمعـــت كبـــارق ثغـــرك المبتـــسم

فمن القائل الشاعر يا ترى؟ إنه الفارس عنترة الذي عاش في القرن السادس[1] الميلادي وشيئا من السابع ، إن هذي الأبيات تقطر سلاسة في التعبير ،

(١) في علم اللغة العام ، ص٢١٨.

وقدرة على صوغ هذا الموقف الغني بالعناصر النفسية ، في تيك العبارة الموجزة المختصرة ، تعبير ساحر أخاذ ، يفيض بالعفة والاحتشام ، ينأى عن الإسفاف والتبذل في تصوير مشاعر العشق والهيام والغرام.

لغة على هذا المستوى ، وشعر بهذا الرقي والسموق لا يمكن أن تكون لغته في البداية والطفولة ، وكذلكم الشعر ، إنما تمثل شعرا في أوج الازدهار ، مرحلة لا يبلغها شعر قبل أن يدب عشرات القرون على أربع ، ثم على رجلين ، ثم ينهض ليطير بجناحين ، وفي خلال هذه المراحل التطورية تتهذب الصيغ وتطّور الأصوات والتراكيب وتصّفي المعاني ، وتسير في هذا الطريق حتى يعجم عودها ، وتحظى بكيان لغوي مكتمل الأركان عربي السمات.

وهكذا يمكن القول بأنه إذا كان أقدم نص أدبي في اللغة الإنجليزية لا يتعدى بدء القرن السادس عشر الميلادي ، والفرنسية مطلع القرن التاسع الميلادي ، فإن العربية حظيت بشعر وصل قمة النضج والكمال ، بدأ بالعصر الجاهلي أو بالشعر الجاهلي ، هذا العصر الذي يقدر بأنه بدأ قبل قرن [٢] ونصفه - أو قرنين اثنين على الأكثر ، وفي بعض التقديرات - من ظهور الإسلام ، فهل يمكن أن نترجم هذا إلى تواريخ وأرقام محددة ، هذا ما نحاوله.

تمت هجرة المصطفى الأكرم (ﷺ) في عام ٦٢٢م ، البعثة المباركة كانت قبل هذا التاريخ بـ ١٣ عاما = أي في عام ٦٠٩م ، فإذا ذهبنا مع الذاهبين بأن عصر الشعر الجاهلي يصل مائتي عام ، كان بإمكاننا القول بأن الشعر الجاهلي الذي وصل

---

(١) يقدر أن عنترة عاش إلى ٦١٥م انظر: مقدمة ديوان عنترة للأستاذ إبراهيم الإبياري، القاهرة ٢٠٠١ ، ص١٨.

(٢) الهاشمي ، السيد : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، القاهرة ١٩٩٨ ، ٢ / ١٣.

إلينا امتد في الزمان عمقا حتى بداية القرن الخامس الميلادي ، أو نهاية القرن الرابع.

فإذا امتلكت العربية هذا الشعر المكتمل الناضج ، وهذا المستوى من اللغة ، فإن من الممكن القول مرة أخرى بأن بدايات هذا الشعر المتميز يمتد قرونا قبل القرن الخامس من الميلاد ، والذي يبعد عنا الآن ١٦ عشر قرنا تقريبا ، وكذلكم تيكم اللغة العربية ، إنها تضرب في أعماق الزمن إلى عهد أبينا آدم ، عليه السلام.

ولكن هل العربية لسان أهل الجنة ؟ جاء في بعض الروايات على لسام المصطفى (ﷺ) :

- أحبوا العرب لثلاث ، لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي.
- أنا عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي (١).
- أحب العرب لثلاث ، لأني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل الجنة (٢) عربي.

قال الحافظ السلفي : هذا حديث حسن (٣).

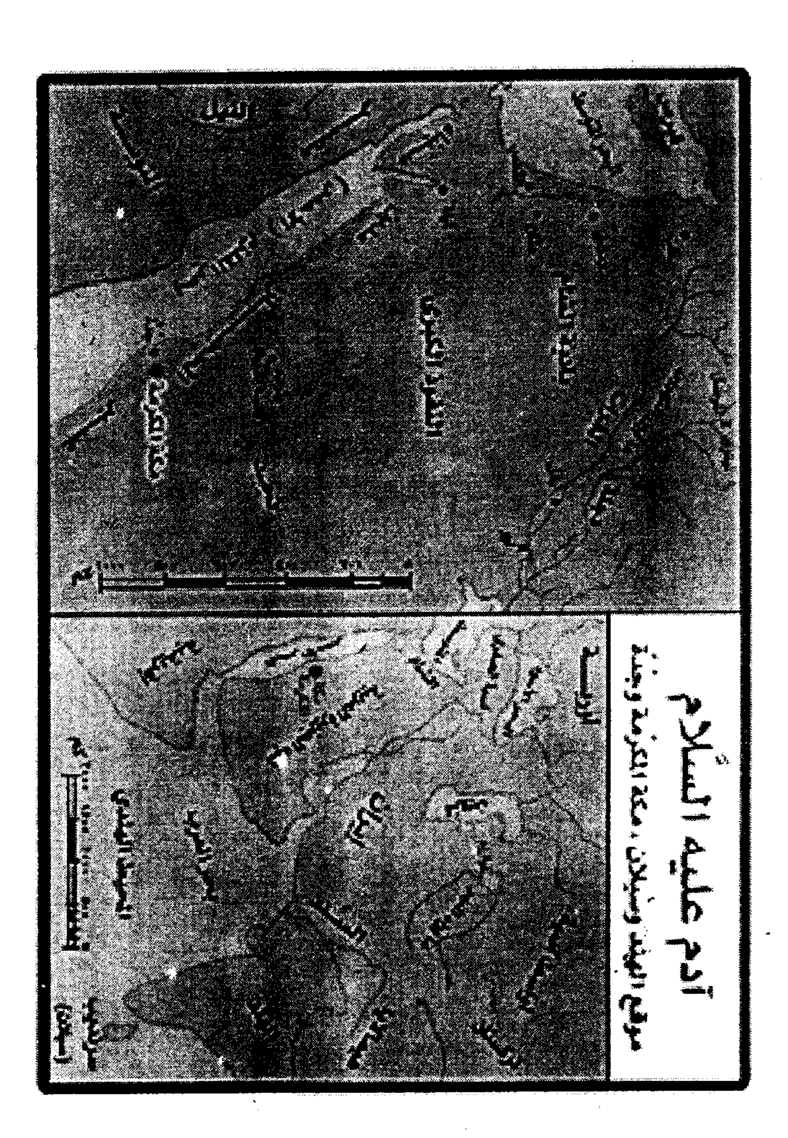
وقبل أن نقدم خرايط تصور رحلات الأنبياء التي سلفت إليها الإشارة نسّاءل : هل العربية هي أصل كل لغات العالم ؟ هذا ما يجهد بعض الباحثين العرب في إثباته وجمع ما يسطاع عليه من أدلة وشواهد ، ومنهم الباحث المهندس عبد المنعم الغروري الناشط في الجمعيات المصرية : الراعية للغة العربية - لسان العرب - تعريب العلوم - حماة اللغة العربية).

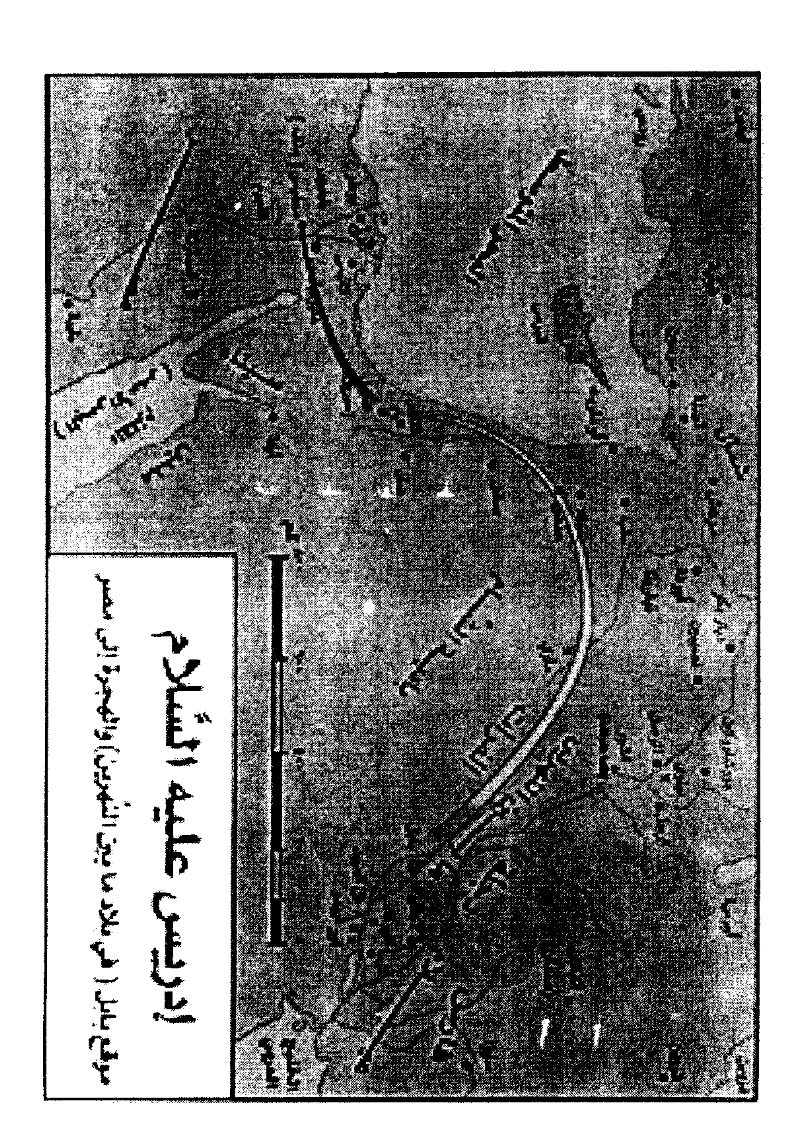
---

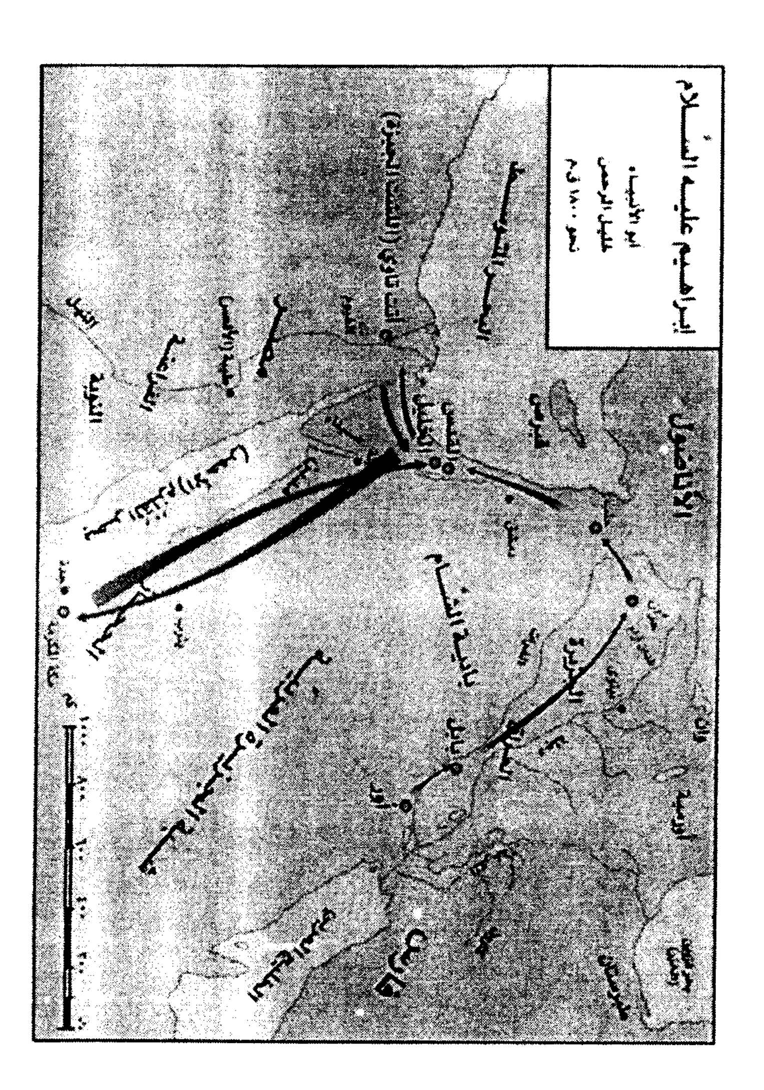
(١) الهيثمي : مبلغ الأرب في فخر العرب ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص٢٢.
(٢) ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم ... ، ص١٤٣.
(٣) السابق.

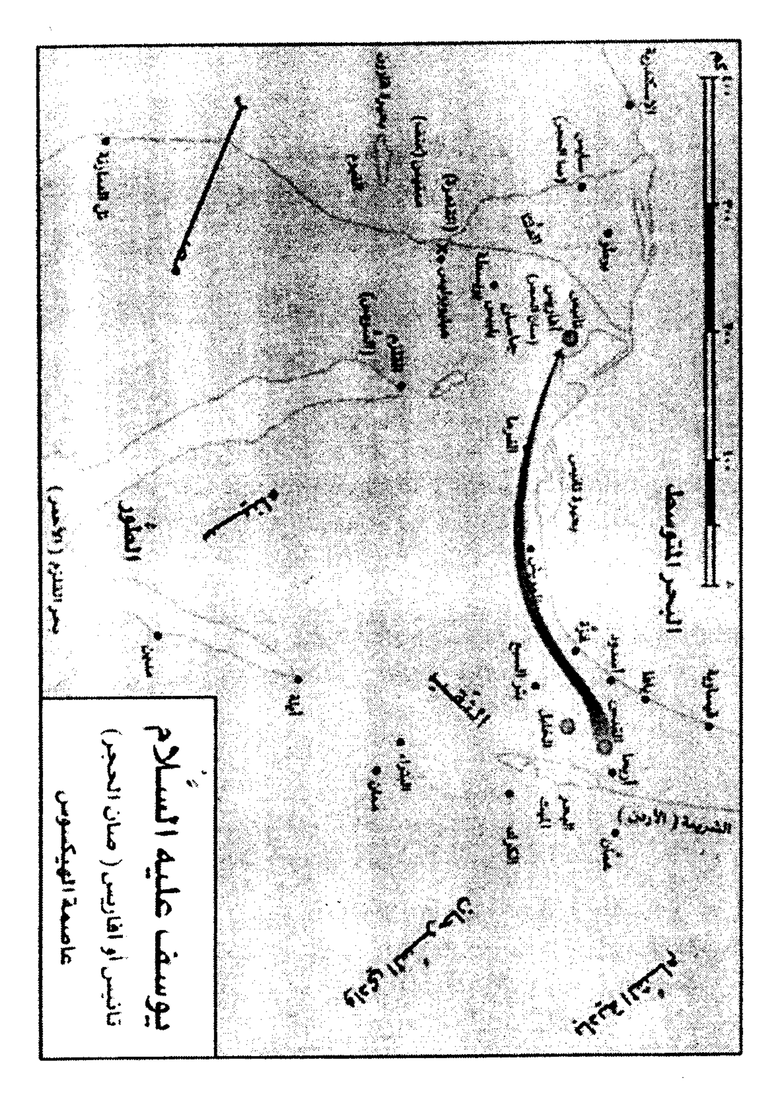
الغروري مجاحش منافج قوي عن هذه الفكرة في بحوثه ودراساته وفي المؤتمرات والندوات والصحافة ووسائل الإعلام ، هذه الفكرة جديرة أن تناقش ـ في موضعها المناسب ـ من خلال دستور العربية ، وهذا ننتويه ، وله نقصد ونترصد.

تصور لرحلات الأنبياء عليهم السلام
من إدريس حتى عيسى ابن مريم
مقتبس من
أطلس القرآن الكريم للدكتور
شوقي أبو خليل


آدم عليه السلام
موقع الهند وسيلان ، مكة المكرمة وجدة


إدريس عليه السَّلام
موقع بابل (في بلاد ما بين النَّهرين) والهجرة إلى مصر
البحر المتوسط
بادية الشام
الفرات
الخليج العربي


إبراهيم عليه السلام
الأناضول
قبرص
البحر المتوسط
بادية الشام
بابل
أور
النيل
النوبة



لا نوافق على أن يوسف ـ عليه السلام ـ قد ربى وعـاش فى عاصمة الهكسوس ، وإنما ربى وعاش بين طيبة وبين ممفيس

المادة الثانية

{ ٢ }

اللغة العربية أشد اللغات تأثيرا في لغات العالم حتى إنها ولدت لغات إفريقية مثل الحبشية القديمة والحديثة ، وأوربية كاللغة المالطية في العصر الحديث ، وذلك بسبب قدرة العرب على الاتصال والحوار مع الآخر ، ودهس العنصرية .

اللغة العربية ذات تأثير في اللغات الأخر !! من قال بهذا ، من نبَّأ به ؟ باحثون عرب ؟ كلا ، باحثون مسلمون ؟ كلا ، إنهم باحثون ولغويون غربيون ، أوربيون وأمريكان ، من هم بالله عليك ؟ همُ عديد وكثر ، منهم :

١- في سنة ١٩٦٦ صدر في بيروت الأبية - بيروت العرب والعروبة - كتاب (الثقافة الإفريقية ؛ دراسات في عناصر الاستمرار والتغيير) ترجمه عن الإنجليزية عبد الملك الناشف ، حرره الباحثان ، الأمريكيان (وليم باسكوم) ولد ١٩١٢ ، دكتوراه ١٩٣٢ من جامعة (نورث وسترن) والباحث (ملفيل هير سكوفتز) مواليد ١٨٩٥ (دكتوراه من جامعة كولومبيا).

في هذا السفر المهم الجليل ـ ٦٠٠ صفحة تقريبا ـ دراسات معمقة في ثقافة القارة الإفريقية ، من تيكمُ الدراسات واحدة بعنوان : (إفريقيا كمنطقة لغوية [1]) قدمها الباحث (جوزيف هـ. جرينبرج) جاء فيها نصا ما يلي :

إن الأثر الإسلامي ، الذي استمر يلعب دوره مدة طويلة ـ من غير انقطاع ـ قد صاغ إلى حد كبير أنماط الحياة عند الشعوب الزنجية في السودان بأسره ، وفي كثير من أجزاء إفريقية الشرقية ، حتى إنه تغلغل في جهات أخرى تقع جنوب هذه المناطق.

وقد انعكس هذا الأثر في انتشار كلمات مستعارة كثيرة من أصل عربي حتى بين الشعوب غير المسلمة ، والسؤال الذي نطرحه الآن ، هو : كيف انعكس أثر الأوربيين الذين احتكوا بالإفريقيين في القرون الأخيرة ، وأحدثوا تغييرا في كثير من أوجه الحياة الإفريقية ، كيف انعكس أثرهم في اللغة ؟

يجيب جرينبرج : هناك ما يحملنا على الحكم بأن أثر الأوربيين في الحياة اللغوية الإفريقية كان على الأرجح صغيرا نسبيا ، إذا ما قورن بأثر اللغة العربية ، ولعل اللغة توضح أكثر من غيرها ظاهرة الاستمرار الأساسية في الثقافة الافريقية ، برغم التغييرات الشديدة التي طرأت في مجالات أخر.

٢ـ ومن الولايات المتحدة نعود سراعا خفافا إلى مستشرق هولندي من الأراضي المنخفضة ، (يوهان مولمان) الذي قضى عشر سنوات في أندونيسيا ضمن برنامج للتعاون بين جامعته ليدن وبين وزارة الشئون الدينية الأندونيسية

(1) ص٥٧.

هذا الرجل كتب بالإنجليزية بحثا مهما، بعنوان (اللغة العربية في أندونيسيا) ترجمناه إلى العربية عام ٢٠٠٢ ، فكان مما جاء في المترجمة :

أ - إن كثيرا من الأندونيسيين يجلون اللغة ، ليس فقط لأنهم يعتبرونها قاطرة القيم والمعارف الدينية ، ولكن أيضا بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية [١].

ب- وقد اتضحت أيضا المكانة الخاصة للعربية عند مناقشة إصلاح الكتابة الأندونيسية ١٩٧٢م ، اتفق كل المناقشين على ضرورة نطق الكلمات المقترضة وكتابتها بطريقة تتناسب مع القواعد العامة للغة الإندونيسية عدا الكلمات العربية ذات القيمة الدينية ، والتي لا تزال تنطق غالبا بطريقة قريبة من أصلها العربي.

ومؤشر آخر على المكانة السامقة للعربية يتمثل في استخدام عدد من الكلمات العربية للتعبير عن الاحترام أو التلطف في القول [٢].

ويضيف مولمان "العربية لها في نفوس الأندونيسيين - بدرجات متفاوتة - مكانة مقدسة ، تشير إلى هذا حقائق عديدة ، أولها أنه من المعتاد أن تمر بأندونيسي يصادف كتابا أو قطعة ورق بالحرف العربي ملقاة على الأرض ليلتقطها على الفور واضعا إياها في مكان أفضل ، مهما كان محتوى النص فيها [٣].

آخر شيء يذكر هنا أو يقال: إنه طبقا لاستفتاء مشاهدي التلفاز الإندونيسي[٤] كان برنامج (تعليم العربية) في التلفاز الحكومي من أكثر البرامج شعبية.

---

(1) اللغة العربية في أندونيسيا ، ص٦٦.
(2) السابق ص٦٥.
(3) السبق ص٦٤.
(4) عام ١٩٩٢.

جـ - وعن تأثير العربية في الأندونيسية يلخص مولمان المسألة بقوله : أثرت العربية - لغة الإسلام الأولى وأشدها أهمية - بطريقة أو بأخرى في كل المجتمعات التي مسها الدين الإسلامي ، ولا تعد أندونيسيا استثناء أو بمنجى عن هذا التأثير ، وهي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان[1] وإن كانت من الناحية الجغرافية الأشد بعدا عن القلب العربي للإسلام.

ويحصر مولمان تأثير العربية في (الحرف العربي - الكلمات العربية والتعبيرات المفترضة - التغيرات الصوتية والدلالية التي تحدث في هذه العملية - وغيرها من [2] القضايا) وسوف أحاول تلخيص وتركيز ما سبق من مناحي التأثير ، كما يلي :

د- برغم أن الأندونيسية هي اللغة الرسمية فإن ذياك البلد ما يزال يعرف مئات من اللغات المحلية المختلفة ، تشكيلة من اللغات في طريقها للانقراض ، تتكلمها أعداد قليلة من الناس ، تسلم الراية الآن للغة القومية ، إلا أن هذي اللغات أيضا خضعت بدرجة ما لتأثير العربية ، خاصة في مفرداتها ، وبعضها تبنت الحرف العربي [3].

هـ- أوضح تأثر في اللغة الأندونيسية تمثل في كتابة الملايو بالحرف العربي... وخلال الاحتلال الهولندي بدأت الكتابة اللاتينية تحل بالتدريج محل الكتابة العربية التي بقيت بشكل أو بآخر في أندونيسيا وماليزيا [4].

(1) يقدرون الآن بـ ٢٤٠ مليون نسمة تقريبا.
(2) السابق ص٢٣.
(3) ص ٢٧ ، ٢٨.
(4) ص٢٩.

و- والأكثر أهمية من تأثير العربية في كتابة الملايو ، أو (الأندونيسية) [1] كان التأثير في اللغة نفسها ، خاصة مفرداتها ، فقد قدرت الألفاظ المستعارة من العربية بحوالي ١٠% من جملة المفردات الأندونيسية ، وهو ما يشير إلى أن تأثير العربية هنا تأثير حقيقي وجوهري.

ز- وبرغم أن تأثير العربية في مفردات الملايو يعود في المقام الأول إلى عملية الأسلمة ، فإن هذا التأثير وصل إلى ما هو أبعد من مجال الإسلام ، والسكان المسلمين ؛ فإن ترجمات الإنجيل إلى اللغة الإندونيسية وغيره من المترجمات والتي أنجز الجانب الأكبر منها الهولنديون والأوربيون ، هذه الترجمات أسهمت بشكل واضح في إدخال المصطلحات ذات الأصل العربي إلى الملايو.

بل إن هذي اللغة لم تقترض الكلمات فقط ، بل اقترضت كثيرا من العبارات ، مثل : (صلة الرحم - خط الاستواء - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

ح- وفي تأثير العربية في الملايو (الأندونيسية) على المستوى الصرفي ، يقول مولمان : لا يغرب عن بالنا الإسهام المتميز للعربية في صياغة كثير من الألفاظ الجديدة ، فطريقة العربية في صياغة الصفة بإضافة ياء النسب مع تاء التأنيث المربوطة ليست مطبقة على الكلمات المقترضة من العربية فقط ، بل أيضا طبقت على الكلمات من أصل غير عربي أيضا.

ك- العربية أيضا مارست تأثيرها في نحو الملايو خاصة من طريق ترجمة المؤلفات الإسلامية الدينية ، وفي مقدمتها كتب الفقه ، ومن هذا الطريق دخلت الملايو عادات عربية صحيحة ، تختص بحروف الجر.

---

(1) هي نفسها لغة الملايو التي نجدها في ماليزيا وجنوب تايلاند وبروناي ، لكنها في أندونيسيا تأثرت بالهولندية لغة المحتل ، وفي ماليزيا تأثرت بالإنجليزية.

عدد من حروف الجر العربية ترجمت إلى نظائرها في الملايو ، ما أدى إلى ظهور تعبيرات تخالف الاستخدام المعتاد في لغة الملايو ، هذا الاتجاه كان أقوى في النصوص الدينية في تيك اللغية ـ اللغة ـ بيد أن بعض هذي الظواهر أثرت بشكل واسع في نحو الإندونيسية والملايو [١].

والآن ننتقل إلى باحث غربي آخر ، أوربي هو ؟ نعم ، فمن هو يا ترى ؟ إنه :

٣ـ المستشرق الهولندي العملاق كيس فيرستيخ ، من الجامعة الكاثوليكية في نيمخن الهولندية ، محرر ومقدم الإصدار الخاص من المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي ، وعنوانه : Arabic outside the Arab world والذي تضمن بحوثا حول العربية في : (أندونيسيا ـ إيران ـ فلسطين المحتلة ـ مالطة ـ الولايات المتحدة) ثم أخرى حول المهاجرين العرب في (البرازيل ـ لندن ـ هولندة ـ ألمانيا).

وقد ترجمناها كلها ونشرناها مفرقة منجمة من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠٠٨ المستشرق يوهان مولمان كان له الفضل علينا في لفت النظر إلى هذا الإصدار المهم، ثم تكرم المستشرق كيس فيرستيخ بإرسال صورة من المجلة كلها ، كما أعطانا إذنا بالترجمة.

هذا الرجل أيضا له كتاب مهم ترجم ونشر في قاهرة المعز ، إنه (اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيراتها [٢]).

إنه أمتع كتاب يلخص تاريخ العربية وحاضرها وتأثيرها بدقة وتركيز وشديد

(1) راجع تفصيل ما سبق كله في مترجمتنا (اللغة العربية في أندونيسيا) القاهرة ٢٠٠٢.
(2) ترجمه الاستاذ محمد الشرقاوي ، القاهرة ٢٠٠٣.

الوضوح ، ومما جاء فيه عن تأثير العربية [1] :

تأثير العربية لا يتوقف عند حدود العالم العربي ، فقد كان العرب على مر التاريخ على اتصال بشعوب أخرى ما أدى إلى تأثير العربية ، ليس في المفردات فقط بل في البنية الصرفية والنحوية.

أثرت اللغة العربية لأنها لغة عالمية ، هذى العالمية لها وجهان ، الأول كونها لغة تجارية ، وخاصة في إفريقية ، والثاني كونها لغة دين ، كما في إفريقية وتركيا وإيران وماليزيا وأندونيسيا وباكستان.

ومن خلال حديث فيرستيخ عن تأثير العربية حددت مجالات هذا التأثير فيما يلي :

- اقتراض الألفاظ العربية والعبارات.
- تبني الخط العربي.
- التأثير في مجالات : (الصرف - النحو - الدلالة).

هذي التأثيرات في تيك المجالات لم تنج منها حتى اللغات الأوربية ، وقد جاء هذا التأثيرالأخير المذكور عبر بوابتين :

- الأندلس.
- إيطاليا من طريق صقلية العربية وتجار البندقية وجنوة.

وبعدما نقلنا عن فيرستيخ يمكن أن نضيف :

أ- صحيح أن الحرف العربي تراجع بعد هجوم الاستعمار الأوربي ، وهو ما حدث في لغات مثل : (الملايو - الهوسا - السواحيلية - التركية) إلا أن الحرف العربي ما

(1) فرستيخ - اللغة العربية ، ص٢٦٣ وبعدها.

يزال صامدا في لغات كثيرة مثل الفارسية والأردية واللغة المحلية في جزر القمر ـ التي يعترف بها لغة رسمية مع العربية ـ بل هناك محاولات لعودة الخط العربي لكثير من اللغات الإفريقية والآسيوية ، وقد نجحت بعض هذي المحاولات في عودة الخط العربي مرة أخرى ، كما حدث مع اللغة الطاجيكية (الفارسية) التي عدلت عن الحرف الروسي إلى الحرف العربي بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتي ١٩٩١م .

وقد اكتشفت شعوب كثيرة الثمر المرة لكتابة لغاتها بالحرف الأوربي ، ومن هذي الثمر قطع الصلة بين حاضر هذي الشعوب وبين تاريخها وتراثها الذي كتب باللغة العربية ، ومن ثم التفكير مرة أخرى ، وربما العمل على عودة الحرف العربي.

ومع فيرستيخ مرة أخرى ، فالشيء بالشيء يذكر ، فلا يعاب من أحد ، ولا ينكر :

السنوات الأخيرات شهدت نزعة كبيرة في كينيا وتنزانيا لإحلال الكلمات المقترضة من العربية محل الكلمات الإنجليزية ؛ لأن السواحيلية أصبحت لغة رسمية في تنزانيا ، وفي معظم الأحيان كانت الكلمات العربية بدائل للكلمات الإنجليزية ، إذ يتصورها الناس سواحيلية الأصل ، مثل كلمة (محكمة) التي حلت محل **korti** ، وكلمة (حكيمُ) التي حلت محل **Jaj** بمعنى قاضي / قاض ، بل أصبحت الكلمات العربية في مجالات علمية معينة أشهر من ذات الأصل الإنجليزي ، مثل : علم النفس وعلم الاجتماع.

وبعد كلام فيرستيخ أضيف أنني عندما كنت في أكرانيا عامي ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ لاحظت كلمات عربية عديدة في الروسية والأكرانية أو هي كالعربية ، فمن

الأولى (ميتشت [1] - سَخَر - كَكْ دِلا ؟) بمعنى : مسجد - سكر - كيف الحال ؟ وفي الأكرانية (سَكر - بقالية) بمعنى : السكر - البقالية ، أو محل البقالة.

بل وجدت في الكتابة الروسية بعض الحروف العربية مثل الشين ш إنها الشين العربية القديمة ، بدون الرأس أو التكملة الأخرى ، فالشين العربية القديمة كانت تكتب هكذا ш ولأن الروسية تكتب من اليسار إلى اليمين فقد تحول هذا الشكل العربي في الروسية إلى ما يناسب كتابتها ، لاحظ الفرق.

ولما نقلت هذي الملاحظة إلى المستشرق الأكراني ألكسي خمراي فسر هذا بأن أكلريك صاحب الكتابة الروسية ربما كانت أمه يهودية ، يقصد أنه أخذ هذه الشين من العبرية ، وليس من العربية ، ولكني أقول : إن الكتابة العبرية نفسها صورة مقبوسة من الكتابة العربية ، ولكن في صورة قديمة جدا ،كما سيأتي تفصيله.

والآن الآن نسّاءل مع المسّائلين : لماذا أثرت العربية بهذه الصورة ؟ والسر في رأينا هو قدرة العرب على التواصل والحوار - بل والاندماج - مع الآخر ، حتى قبل الإسلام ، فإن العلاقات التجارية امتدت عمقا في الزمن إلى ما قبل المحمدية المباركة ، وهو ما اتضح جليا في القارة الإفريقية ، وفي آسيا أيضا ، ففي زيارتي لأندونيسيا ١٩٩٢ قابلت كثيرا من العرب والذين إلى الآن يتحدثون بالعربية ويتمسكون بالتقاليد والأعراف والعادات العربية ، ذكرت بعض الأسر أن شواهد القبور العربية في أيدونيسيا والكتابات عليها تمتد بموتاها إلى القرن السادس الميلادي، أي أن هؤلاء الأموات عاشوا قبل التواريخ المسطرة على قبورهم ، البعثة

(1) وفي روسيا مدينة اسمها (سماره) ذياك الاسم الذي أعطى لبعض السيارات الروسية (لادا سمارا).

الشريفة كانت ٦٠٩م تقريبا ، أما الهجرة ، وهي بداية التقويم الهجري فكانت بعدها بـ ١٣ عاما ، أي عام ٦٢٢ م.

ومعرفة العرب ببقاع العالم وأصقاعه هو ما يفسر - في جانب منه - السرعة المذهلة التي سارت بها الفتوحات الإسلامية ، ووتيرة انتشار الإسلام بشكل عام ، وبشكل أخص في البلدان التي لم تصلها الفتوحات ، وبعضها نائي الديار جدا عن قلب العالم العربي ، كما ذكر عن أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، وأجزاء أخرى في القارات الثلاث.

ولولا قدرة العرب على الاتصال وخطاب الآخر ما اختصهم الله بالرسالة الخاتمة الموجهة للعالمين والناس أجمعين ؛ لأن الإنسان يؤثر بقدر ما يختلط بالآخر ومعه بتفاعل ، وينعدم تأثيره تماما ليصل إلى درجة الصفر والتجميد إذا انعزل فعزل نفسه عن الناس.

روح الاختلاط والتفاعل التي نماها الإسلام ورعاها فسقاها من عذب مائه ومبادئه وتعاليمه وقيمه الزلال القراح ، فمن الآيات القرآنية : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [1]) وفي الأحاديث :

- من خطبته (ﷺ) بمنى في وسط أيام التشريق ، وهو على بعير: (ألا إن ربكم - عز وجل - واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، ألا قد بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب [2]).

(1) ١٣ الحجرات.
(2) ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٣١.

- وفي الحث على الجماعة والاختلاط والنهي والترهيب من العزلة والبعد عن الاختلاط عجب عجاب من أحاديث سيد الخلق (ﷺ) مثل : (كدر الجماعة خير من صفو الفرقة) أي مهما كان في الجماعة والاتحاد من مشكلات أو اختلافات فهو خير من أن يعيش الإنسان في فرقة وعزلة مهما كان فيهما من راحة وصفو وهدوء بال ، وهذا من معجزات قول سيد الخلق (ﷺ) وفي الحديث أيضا : (البركة مع الجماعة).
- وفي ذم العزلة، وأن يسير الرجل وحده من الأحاديث ما نفخر به على الأنام طرا ، تأمل : [لو يعلم أحدكم ما في الوحدة ، ما سار أحد بليل وحده - لعن رسول الله - صلى الله عليه وآله مخنثي الرجال ، الذين يتشبهون بالنساء ، والمترجلات من النساء ، المتشبهات بالرجال ، وراكب الفلاة وحده - الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب - خير الصحابة (أي الصحبة) أربعة [1]].

نصح مهم من سيد الخلق (ﷺ) أن لا يسير المرء وحده في فلاة - صحراء - أو مكان موحش لا أنيس فيه ، في الليل ، أو حتى بالنهار ، على الأقل أن يكون الركب ثلاثة ، لا أقل ، ويفضل أن يكونوا أربعة ، فإن يد الله وبركته مع الجماعة ، بئس هذا الرجل ، يسافر وحده ، وينزل وحده ، ويأكل وحده ، أو حتى يصلي وحده ، إلا إذا اضطر ، فالضرورة تبيح المحظورة ، كما أن الضرورة تكون بقدرها فقط ، وفي حدود الاحتياج إليها.

لكن الإسلام ما كان له أن يجذر روح الجماعة والاختلاط في المسلمين دون جسر مهم يعبر عليه ، إن هذا الجسر المهم هو دهس العنصرية أو (العصبية) وقد

(1) سنن أبي داود ، حديث رقم ٥١٠٣ ، باب الأدب ، وسنن ابن ماجة حديث رقم ٣٧٦٨ ، والمنذري : الترغيب والترهيب ٤ / ٦٦.

تمثل هذا في مجموعة من الآيات و الأحاديث ، منها : (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أي لكي يعرف بعضكم بعضا ، يتعرف عليه ، فيعرفه ، دون ميزة لأسود على أحمر ، ولا أحمر على أصفر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، المثمر والمفيد للبلاد والمخاليق العبيد والعباد.

وفي سيرة النبي الأكرم (ﷺ) وأقواله ما يوكد دهس العنصرية والعصبية الجاهلية :

عندما رأى الصحابي الجليل عبد الله بن زيد ـ في المنام ـ رجلا يبيع جرسا (ناقوسا) فإنه على الفور طلب شراءه، سأله البائع: لماذا تشتريه؟ قال : ندعو به إلى الصلاة ، قال الرجل : أفلا أدلك على خير من ذلك؟ بلى ، قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ... ثم أملى عليه ألفاظ الأذان والإقامة أيضا.

فلما أصبح عبد الله بن زيد (رضي الله عنه) قص ما سمع على حبيبه (ﷺ) الذي قال له على الفور : (قم مع بلال ، فالق عليه ما رأيت ، فليوذن به ؟) لماذا يا رسول الله ؟ (لأنه أندى صوتا منك) وهكذا اشتهر موذن سيد الخلق بأنه بلال الحبشي ، ولم يك الأذان من نصيب فلان القرشي أو الهاشمي ، أو كما تمنى متعصبو قريش (... وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل القريتين [1] عظيم ؟ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ [2] رَبِّكَ ...).

وفي حين ارتبط اسم بلال ولقبه الحبشي بأرفع المناصب في حياة حبيبه المصطفى وهو الأذان ، فإن أبا لهب ـ وكان عما شقيقا أكيدا ، في الدم والنسب والعرق ـ نزلت سورة قصيرة شهيرة تلعنه أبد الدهر وتذمه ، تتلوها وتقرؤها

(1) مكة والطائف.
(2) ٣١ ، ٣٢ الزخرف.

الألسن على مر الدهور وكر العصور : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) ولو كان للمجاملة مكان ، وللمداهنة موضع ، وللعنصرية موقع ما كان عم النبي الخاتم (ﷺ) في هذا الموقع ، على الأقل كان سكت عنه القرآن ، لم يذكره بقدح ولا مدح.

سلاح آخر من أسلحة الحضارة الإسلامية ولغتها العربية ، إنه الموضوعية ، والابتعاد عن العنصرية ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

لكن هل الأمر وقف عند ما سبق ؟ كلا ، إن سيد الخلق (ﷺ) ليقرن الرجلين - عمه ومؤذنه في مقارنة عجيبة ، حين يقول :

أدخل الإسلام بلالا في نسبي

وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي

حديث أخير نذكره على مذبح العنصرية ، ما هو يرحمك الله ؟ إنه (فمن تكلم بالعربية فهو عربي [1]) العروبة هي عروبة لسان فقط ، دون عنصر أو دم ولحم ، فالعالم العربي الآن متعدد الأصول والأعراق ، ولكن عروبة اللغة واللسان هي التي تجمعه ، هذا الميزان العادل الواقعي كان أداة مهمة في نشر العربية عبر العالم وتأثيرها الكبير في لغات الآخر.

ولكن أصحيح حقا ما قيل قبلا من أن تأثير العربية وصل إلى درجة أنها ولدت لغات أخر ؟ بكل اطمئنان وتوكيد نقول : نعم ، نعم ، ومن هذي اللُغيات المالطية والحبشية القديمة والحديثة ، كيف بالله عليك ؟.

---

(1) ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم ، ص١٥٢.

نبدأ بالمالطية ، وهي لغة أوربية ، من قارة أخرى غير قارتي العربية ، آسيا وإفريقية ، فما الحكاية [1] ؟ يحكى أن العرب عندما فتحوا مالطة تعربت الجزيرة ، وبقى الأمر كذلك حتى غزاها النورمانديون ٤٤٥ هـ ، عندها بدأ التحول عن العربية الفصحى شيئا فشيئا حتى اختفت وتآكلت تماما في القرون التالية ، إلا أن العامية العربية بقيت في مالطة لتكون الركيزة الأساس التي عليها اتكأت اللغة المالطية ، أو ما عرف بعد ذلك بهذا الاسم.

المالطية إذن هي في الأساس والمرتكز والمتكأ إحدى اللهجات العربية التي وفدت من الشمال الإفريقي مباشرة ، أو من طريق صقلية التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها.

خرجت المالطية إذن من عباءة العربية بلا شك ، وإن نبعت من المستوى اللهجي ، ونأت عن الفصيح ، ثم نأت عن العربية وابتعدت بعدة أشياء :

١ـ كتابتها بالحرف الأوربي (اللاتيني).

٢ـ سارت في تطورها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

٣ـ اقتراض كلمات كثيرة من الإيطالية أولا وقبلا، ومن الإنجليزية بَعْدا ومؤخرا ، بل أصبحت الإنجليزية لغة رسمية في الجزيرة منذ ١٨١٤م.

وهذي بعيض معلومات نضيفها عن اللغة المالطية :

١ـ أقدم نص بهذي اللغة ورد إلينا كان في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، إلا أن العالم لم يعترف بها كلغة مستقلة ، قائمة بذاتها إلا سنة ١٧٩٦ ، وذلك بعد نشر (ميكيل فاسالي) لكتابه في نحو اللغة المالطية ، سماه :

(1) العربية في مالطة تأليف مانويل مفسد وألبرت برج ، ترجمة د. أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٤ ، انظر ص٩ ، وما بعد في مقدمة الترجمة.

Kytb yl Klym Malti

يلاحظ أن اسم الكتاب مقتبس من كلمات عربية بشكل واضح.

٢- برغم أن الإنجليزية كانت لغة رسمية في مالطة مكان الإيطالية بداية القرن التاسع عشر - كما سبق - فقد دخلت المالطية مناهج التعليم في تلك الفترة.

٣- رغم أن المالطية أصبحت بالفعل لغة رسمية في الجزيرة منذ ١٩٣٣م ، إلا أن نسبة كبيرة من المالطيين تتكلم أكثر من لغتين ، إن المالطي العادي يتكلم الإنجليزية والإيطالية على الأقل ، وليس المهم بعد ذلك أن يتكلم المالطية أو لا يتكلمها.

البروفيسور ألبرت برج رئيس معهد علم اللغة في جامعة مالطة ، وأحد مؤلفي مقالة (اللغة العربية في مالطة) التي ترجمناها، واقتبسنا كثيرا من المعلومات هنا عن مقدمة الترجمة ، هذا الرجل زارنا في مصر منذ ٤ سنوات تقريبا ، وبمجرد أن رأيته بادرته برأيي (ملامحك عربية تماما) وبالفعل هي كذلك ، تبدو للباده ، من أول نظرة ، أو من النظرة الأولى ، أو الوهلة الأولى.

هذا الرجل يجيد الإنجليزية والفرنسية وشيئا من العربية ، لقد كان يميل نحو الفرنسية بشكل واضح ، أما الشارع الذي يسكن فيه في الحاضرة المالطية فاليتا فهو (الطريق الجديدة) والذي ينطق كما في العامية ، ليس الفصحى ، وفي بيروت أيضا شارع سمى لهذا الشارع المالطي ، وبنفس النطق العامي أيضا.

٤- آخر ما نذكره عن جمهورية مالطة أن مساحتها ٣١٦ من الكيومترات ، يعيش بين ربوعها ٣٩٥ ألف نسمة تقريبا ، معنى هذا أن المتحدثين باللغة المالطية - رسميا - أو من المفترض أنهم أقل من ٤٠٠ ألف من البشر.

والآن حان الحديث عن اللغة الحبشية، لكنا نبدأ من فرضية أن منطقة العراق والشام وفلسطين والجزيرة العربية واليمن وشرق الحبشة كانت منطقة لغوية واحدة ومترابطة ، وقد استضأنا برحلات أنبياء الله من الشرق إلى الغرب والجنوب ، ثم مصر ، حيث كانت تنتهي [1] دوما رحلات أنبياء الله.

كما أشرنا إلى رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والصيف إلى الشام والعراق ، وسوف نضيف هنا شيئا من تفصيل حول رحلة النبي وهو صبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ، وكذا رحلة أبي سفيان ولقائه مع القيصر ، ثم المغيرة بن شعبة من الطائف جنوب مكة بحوالي ١٠٠ ك إلى مصر والعودة ، وكان معه ١٤ مرافقا من قومه ثقيف ، بعد هذا كله نشير إلى عمق العلاقة بين اليمن وبين الحبشة ، إذ لا يفصل بينهما غير مضيق باب المندب - ٢٦ كم - وكان في السابق أقل من هذا لنصل الآن إلى أن تفرع الحبشية القديمة والحديثة كان من إحدى اللهجات اليمانية.

أولا : رحلة النبي مع أبي طالب : لقد خرج العم الوفي في تجارة له إلى الشام ، إذ رغب الصبي ابن أخيه محمد - الذي كان في التاسعة من عمره - في السفر مع عمه ، الذي رق للصبي اليتيم قائلا : (والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبدا).

خرج الركب إلى مبتغاه ، وفي أول محطة بالشام في بصري - والتي فتحت فيما بعد ١٣ هـ - وتقع الآن جنوب غرب السويداء ، في أقصى الجنوب من الجمهورية العربية السورية ، كما تبدو في الخرايط الحديثة ، في هذي المحطة

(1) انظر البحث الضافي الذي سطره العلامة الدكتور سليمان حزين (العروبة ومصر ، تأصيل العلاقات بينهما في المكان والزمان) في كتابه القيم (أرض العروبة ، رؤية حضارية في المكان والزمان) القاهرة ٢٠٠٧.

يعيش راهب نصراني اسمه بحيري ـ بفتح الباء ، والراء ، أيضا ـ هذا الراهب كثيرا ما مرت به قوافل العرب ومن قريش ، وفي كل مرة لا يأبه بهم ، إلا هذي المرة ، فماذا صنع بالله عليك ؟

إن هؤلاء القوم المنهكين من السفر والعفر ـ التراب ـ ووعثاء السفر ، لهم أحوج إلى الطعام والشراب من المستقر في الحضر ، وفي ظلال الجُدر والحجر والشجر ، فما سر وأسرار التغير في سلوكك يا بحيري ؟

لقد رأي النبي الأكرم وغمامة تظله من بين القوم ، وعندما نزل القوم تحت ظل شجرة مالت أغصانها إلى الطفل الكريم ، حانية عليه متدلية.

بحيري عندما رأى الطفل لم يملك نفسه حتى احتضنه ، ومع القوم أجلسه ، يمعن إليه النظر ، مركزا على أشياء محددة في جسده الطاهر ، يجدها عنده من صفاته.

وعندما فرغ القوم من طعامهم وشرابهم بدأ هذا الحوار الذي ظفر به بحيري مع الغلام ذي التسع سنوات :

بحيري : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه.

الغلام : لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما.

بحيري : فبالله إلا ما أخبرتني عما سألك عنه.

الغلام : سلني عما بدالك.

لقد سأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره ، والغلام يخبره ما يوافق ما عند بحيري من صفاته ، ثم نظر إلى ظهره فوجد خاتم النبوة بين كتفيه ، في موضعه على الشكل الذي يعرفه قبلا ، وفي حجم بيضة الحمامة.

أقبل بحيري على أبي طالب مسائلا : ما هذا الغلام منك ؟ يجيب : ابني ، يعترض بحيري : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، ويعترف الرجل : فإنه ابن أخي ، ولا يكتفي بحيري بما سبق ، بل يسأل : فما فعل أبوه ؟ مات وأمه به حبلى ، صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شان عظيم ، وينتصح العم بما ذكر بحيري، ويعود به سريعا سريعا إلى الوطن ، في مكة المشرفة المعظمة.

انظر - عزيزي القارئ - طفل يتعلق بعمه الذي يخشى عليه من الهواء الطائر والنسيم العليل ويحافظ عليه كنفسه وعينه يأخذه إلى هذي الرحلة صيفا إلى الشام ، ما يدل ويوكد على أن هذي الرحلة كانت معتادة جدا وروتينية ، وبحيري الراهب يعرفونه ، يمرون عليه دوما وكثيرا ، وهو لا يأبه لهم ، ولا يكترث ، أبو طالب يأخذ طفله معه في هذه الرحلة ، ولا يخش شيا - شيئا - على أبن أخيه الذي استودعه إياه أبوه ، الجد عبد المطلب وشدد وبالغ في التوصية عليه ، ثم العم يعود به سريعا إلى مكة ، كل هذا يدل على أن الحركة من الجزيرة - ومكة - كانت شيئا معادا مكرورا مفهوما لدرجة أن أبا طالب اصطحب الطفل العزيز عليه الحريص ، ربما أكثر من أولاده في هذي الرحيلة إلى شآم العرب ، بل إن هذا الصغير ذي التسعة أعوام كان يحاور بحيري الراهب ، دون ترجمة ، ودون واسطة حتى من بني قومه ، ما يدل على اللغة واحدة ، وإلا ما تمت هذي الحوارات كلها دون تراجمة أو وسطاء.

ثانيا - رحلة أبي سفيان إلى الشام : جاء في صحيح البخاري [1] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله (ﷺ) كتب إلى قيصر الروم يدعوه إلى

(1) باب (الجهاد والسير).

الإسلام ، بعث إليه كتابا بهذا المعنى مع الصحابي الجليل دحية الكلبي (ﷺ) ليدفع الرسالة إلى حاكم بصرى - التي تقع الآن في أقصى الجنوب من الجمهورية العربية السورية ، قرب الحدود الأردنية - تيك المدينة التي سبق عنها الحديث ، وسلف ، والتي شرفتَ بسيد الخلق (ﷺ) - كما مر - وكان على حاكم بصرى أن يرفع الأمر برمته إلى القيصر الذي كان ساعتها في بيت المقدس ، حين جاءه الكتاب تصرف بحكمة شديدة وحنكة عظيمة ،حين قرأ الرسالة ، أمر على الفور : التمسوا لي أحدا من قومه لأسألهم عن الأمر ، وعن هذا الرجل.

أبو سفيان كان في الشآم في رجال من قريش قدموا في تجارة صيفية ، أثناء صلح الحديبية [1] ، فوجدهم رجال القيصر ببعض الشام ، فأخذ القرشيين جميعا ومعهم أبو سفيان إلى حيث القيصر في مدينة بيت المقدس ، يقول أبو سفيان : كان في مجلس ملكه ، عليه التاج ، وحوله عظماء الروم ، فقال لترجمانه : سلهم أيهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، قال أبو سفيان : أنا أقربهم إليه نسبا، سأل القيصر : ما قرابة ما بينك وبينه ؟ هو ابن عَم ، قال الملك : أدنوه.

وأمر بأصحاب أبي سفيان فجعلوا خلف ظهره ، ثم قال لترجمانه : إن كذب فكذبوه ، ولولا الحياء أن يأثر الرجال عن أبي سفيان الكذب لكذبه حين يسأله عن النبي الأكرم (ﷺ).

على أي الأحوال تم الحوار بين أبي سفيان وبين القيصر ، الذي خرج بنتيجة مؤكدة : (هذي صفات النبي ، قد كنت أظن أنه خارج - مبعوث - لكن لم أظن أنه منكم - من العرب - وإن يك ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين

(1) آخر سنة ٦ هـ.

ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه) ثم دعى بكتاب رسول الله (ﷺ) فقرئ ، فإذا فيه [1] ... انتهى.

لاحظ جملة (قال لترجمانه) وقعت في النص ٣ مرات ، ما يوكد وجود مترجم فوري بين القيصر وبين أبي سفيان ، إذ اللغة مختلفة هنا ، أبو سفيان ومن معه لا يعرف غير العربية ، القيصر ومن حوله لا يعرفون غير لغتهم اللاتينية ، أو (الرومانية) أو كما كان يسميها العرب (الرومية) نسبة إلى الروم ، اللغة الرسمية للدولة الرومانية آنذاك ، ولغة الترجمان ، أو المترجم ما كان لها وجود أو ظل وجود في كل الرحلات التي تحدثنا سابقا عنهما ، أو التي سوف نتحدث عنها ، وبشكل خاص رحلات الأنبياء من الشرق إلى الغرب حتى مصر ، وبشكل أخص في حوار المصطفى (ﷺ) مع بحيري في بصرى ، وكان طفلا في التاسعة من عمره الشريف المبارك.

ثالثا : رحلة المغيرة وقتلاه إلى مصر : ذهب المغيرة بن شعبة الثقفي إلى مصر، مرة واحدة ؟ كلا مرات عديدات حتى استطاع الداهية أن يقنع ١٤ رجلا من ثقيف ، وقد نالوا من المقوقس حاكم مصر جوائز وعطايا سخية ، وفي طريق العودة سقاهم خمرا حتى ثملوا ، وراحوا في سبات عميق ، وعدا المغيرة على رفقاء سفره ، فقتلهم جميعا ، زاعما أن المقوقس أعطاهم هدايا أكثر منه ، وأنه خص المغيرة بجزء قليل من الهدايا.

وذهب بعد ذلك إلى محمد (ﷺ) ليعلن إسلامه ، وليقدم الأموال تنها إلى الرسول الأكرم ، الذي كان جوابه : (أما الإسلام ، فقبلناه ، وأما المال فمال غدر ، لا

(١) راجع كتابنا (قراءات في أدب العربية) ج١ ، القاهرة ٢٠٠٧ ، ص١١٩.

نقبله ، واضطر أحد أعمامه إلى دفع ديات القتلى الأربعة عشر جميعا ، حتى ينفذ القبيلة ثقيف من شر مستطير ، ينطلق من أولياء الدم.

وهكذا نرى أن المغيرة ومن معه ذهبوا إلى المقوقس في مصر ، لقد عرفوا سخاءه وأريحيته ، ولذا لم يترددوا في الذهاب إليه لنيل عطاياه ،بل إن المغيرة نفسه تردد مرات عديدات إلى مصرنا قبل هذه الرحلة المشئومة، ما يشير إلى عمق الصلات بين الجزيرة والعربية ومصر ، ونشاط حركة القوافل والسفر بين مصر ، وبين بلاد الحجاز وجزيرة العرب.

رابعا ـ عمق العلاقة بين اليمن والحبشة : وقد تحدثت سيرة [1] ابن هشام مفصلا مفصلا عن هذي العلاقات ، خاصة في محاولات أبرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة ، ثم هلاكه وفناء جيشه شذر مذر ، العلامة محمد فريد وجدي لخص هذا التاريخ بشكل رائع ، نحاول الآن الإفادة منه ، يحكى الرجل [2] فيقول : وقبل أن يحكي نذكر القارئ بأن رحلة الشتاء العربية لم تك إلى اليمن فقط ، بل كانت إلى اليمن والحبشة أيضا ، كما كانت رحلة الصيف إلى الشآم ، فقط ؟ كلا ، إلى العراق والشآم كليهما ، ما يدل على ترابط هذه المنطقة (العراق ـ الشام بما فيها فلسطين ـ الجزيرة العربية واليمن والحبشة) لغويا وتجاريا ، فالحركة بينها كانت حركة نشطة واسعة ومستمرة.

على أي الأحوال نعود مرة أخرى إلى كلام محمد فريد وجد : العلاقة بين اليمن والحبشة كانت موجودة من القدم ؛ لقرب البلدين ، طمع بعض ملوك الحبشة في

(١) ص٣٧ وبعدها .
(٢) نقد كتاب الشعر الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٦ ، ص٤.

الاستيلاء على اليمن ، فروى أن أحدهم حاول امتلاكها أوائل القرن الثاني الميلادي ، وآخر ملك احتل بعض مدنها أواخر القرن الثالث ، فطرده الحميريون.

ولكن الأحباش عادوا منتصف القرن الرابع فاكتسحوا اليمن كلها ، حدثت بينهم وبين اليمنيين وقائع كثيرة ، ثم تم للأحباش غزو اليمن بمساعدة الرومان ، دام الاحتلال إلى سنة ٣٧٤م ، ثم استردها الحميريون ، إلا أن الأحباش أعادوا الكرة سنة ٥٢٥م فاحتلوا اليمن مرة أخرى ، وفي هذي الفترة حاول أبرهة هدم الكعبة.

ولما ملّ الناس الاحتلال ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى فارس الذي أمده بجيش من المحكوم عليهم بالإعدام في سجونه ، واستطاعت القوات الفارسية العربية المشتركة طرد الأحباش من اليمن ، حتى أرسلت القيادة الفارسية في اليمن تعلن إسلامها أمام سيد الخلق (ﷺ) [1] وكان ذلك سنة ١٠ هـ.

يقدر ابن هشام في سيرته أن الأحباش مكثوا في اليمن قبل أن يطردهم الفرس ٧٢سنة، معنى هذا أن الفرس جاءوا إلى اليمن عام٥٩٧م ، وقد أسلموا عام١٠هـ - ٦٣١م ، بقي الفرس في يمن العرب السعيد إذن = ٣٤ سنة فقط ، فترة قصيرة في عمر الزمن وعمر الشعوب ، وهو لا يقارن بفترات الاحتلال الحبشي ، خاصة الأخير الذي استمر ٧٢ سنة ، أكثر من ضعفي فترة الوجود الفارسي في اليمن.

والآن قبل أن نتحدث عن هجرتي المسلمين إلى الحبشة وما حدث أثناءها وتحليلنا اللغوي لهذي الهجرة ، نشير أن اللغة الحبشية القديمة ونظامها الكتابي قد خرجا معا وكلاهما من عباءة العربية ، كيف بالله عليك ، كيف ، وكيف كان ذلك ؟ نذكر الحكاية من البدء إلى النهاية ، وكما يلي :

(١) تصرفنا قليلا فيما نقلنا عن محمد فريد وجدي.

لقد انطلقت الهجرات العربية الأولى من جنوب بلاد العرب ، من اليمن السعيد إلى الجهة الغربية الأخرى من اليابسة عبر باب المندب والذي لا يزيد اتساعه الآن عن ٢٦ ك م ، هؤلاء المهاجرون العرب عرفوا باسم (الجِّعِز) وإليه نسبت لغتهم - أو قل - لهجتهم ت العربية القديمة التي جاءوا بها إلى اليمن ، وقد تحولت تيك اللهجة إلى لغة مستقلة بفعل احتكاكها باللغات الإفريقية المحلية ، ويرجح أن الهجرات العربية الأولى من الشرق إلى الحبشة كانت قبل ميلاد المسيح بوقت طويل ، هذا ما يراه أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، رحمه الله.

ويظهر أن هؤلاء اليمنيين المهاجرين إلى هذا البلد لم يحملوا معهم لغتهم فقط، بل حملوا معهم في البداية ومنذ البداية الرسم السبئي القديم الذي كان يستخدم في مسقط رءوسهم في اليمن السعيد ، ثم اشتق من هذا الرسم رسم خاص أطلق عليه الرسم الحبشي ، أو (الحعزي) ويقال : إن هذا الرسم الأخير ظهر في القرن الثالث الميلادي ، وإن كان هذا لم يمح الرسم السبئي القديم محوا تاما ، بل ظلا يستخدمان معا مدة طويلة.

ويتفق الرسمان كلاهما - السبئي والجعزي - في غياب رموزُ الحركات - سيما القصيرة - فضلا عن إدخالها في صلب الخط ، كما في الحروف اللاتينية ، فكان الرسم الحبشي كسابقه الذي منه اشتق يشتمل على ٢٦ حرفا ، تركز جميعها على الصوامت ، وعليها تنصبّ.

ولكن اللغة الجعزية لم تعمر طويلا ، فما إن حل القرن الثاني عشر الميلادي حتى دبت الفتن السياسية بين الشعب الجعزي ، وتفرقت لغته إلى لهجات ، أبرزها لهجة أمهرا التي غلب عليها العنصر الإفريقي الحامي ، وفي سنة ١٢٧٠م تقوضت مملكة السوم الجعزية، وقبض على زمام الحكم أسرة أمهرية من جنوب غرب البلاد،

ومن هنالك أخذ نطاق هذه اللغة الجديدة يتسع شيئا فشيئا حتى أصبحت اللغة السائدة في بلاد أثيوبيا كلها .

ما سبق ذكره وسلف هو من أثر السياسة في اللغة ، أو تأثر اللغة بالسياسة ونظام الحكم ، ارتفع نجم اللغة الجعزية بارتفاع أسهم أهليها ، تراجع نفوذها بتراجع نفوذ أصحابها ومتكلميها ، وحلت محلها الأمهرية - وإن كانت إحدى لهجاتها المنبثقة عنها بسبب استيلاء الأمهريين على زمام الحكم في أكسوم [1].

وحمل هذا التغير السياسي اللغوي تغيرا في الكتابة أيضا ، فزيد على الحروف الجعزية القديمة سبعة أحرف ليرمز بها إلى تيك الأصوات التي تمتاز بها اللغة الأمهرية ، ولا نظير لها في الجعزية الأم.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق ، بل ظهرت بعد ذلك علامات ترمز إلى الحركات ، أخذ عددها يزيد شيئا فشيئا حتى بلغت ٦ علامات ، ترمز إلى ٦ حركات ، يضاف إليها حرف سابع للصامت الساكن ، غير المتلو بحركة ، مثل (قُمْ - كُنْ) أخذت أهمية هذي العلامات تزيد رويدا رويدا ؛ حتى أصبحت عناصر أساسية في رسم الكلمات الأمهرية ، كما هو الشان والحال في الرسم الأوربي اللاتيني ، غير أنها ليست ممثلة في حروف مستقلة - كما في اللاتيني - ولا هي علامات توضع على الحروف أو أسفل منها ، بل تتمثل في تغيير يلحق صورة الحروف نفسها ، فشكل الحرف نفسه هو الذي يتغير تبع الحركة التي تلحقه ، وبذا أصبح لكل حرف سبعة

---

(١) الأمهرية لغة رسمية في جمهورية أثيوبيا ، كما تتكلم بها جماعات أخرى ، عدد الناطقين بها ٢١ مليونا ، منهم ١٧,٤ كلغة أم ، والأمهرية ليست فى أول مائة لغة من لغات العالم التى تقدر ٦٨٠٠ لغة .
ويتكلم بالأمهرية فى : (أثيوبيا - اريتريا - الصومال - السودان - فلسطين المحتلة) ربما بسبب هجرة يهود الفلاشة إلى فلسطين ، هى اللغة الرسمية فى جمهورية اثيوبيا - كما سبق - سكانها ٦٨ مليون نسمة تقريبا ، فى مساحة فوق المليون كيلو متر بمائة ألف تقريبا .

أشكال متميزة ، يرمز كل منها إلى الصامت والحركة التي تليه ، صارت الحروف قريب مائتين [1].

الرسم الحبشي القديم كان يكتب من اليمين إلى اليسار مثل الرسم السبئي الذي منه اقتبس واشتق ، ثم صار الرسم الأمهري إلى العكس من اليسار إلى اليمين حتى الوقت الراهن.

وللحبشة اسم آخر هو (إثيوبيا Ethiopia) وهي تسمية يونانية قديمة ، أطلقها اليونانيون القدماء ، على المنطقة الممتدة من البحر الأحمر غربا ومصر جنوبا ، ويفضل المسيحيون الأحباش هذه التسمية اليونانية. [2]

صفوة القول والخلاصة من كل ما سلف أنّ اللغة الأمهرية - اللغة الرسمية في جمهورية إثيوبيا - كانت في الأصل إحدى اللهجات الجعزية ، ثم أصبحت لغة مستقلة عن الجعزية الأم ، وهذه الأخيرة كانت إحدى اللهجات اليمنية القديمة ، ولكنها تحولت إلى لغة مستقلة عن أصلها العربي بفعل تسرب عناصر لغوية إفريقية محلية إليها ، وقد أصبحت الأمهرية اللغة الرسمية للبلاد منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، أي أنها في النهاية خرجت من عباءة اللغة العربية ، اللغة الخصب الولادة ، التي خرج من رحمها لغات هن كُثر ، منها المالطية - كما سلف - والحبشية القديمة والحديثة ، وفي النهاية الأمهرية التي بقيت إلى الآن.

جدير بالذكر أن الأمهرية - إضافة إلى العربية الأم - هما من اللغات الرسمية في الاتحاد الإفريقي - منظمة الوحدة الإفريقية سابقا التي تأسست في ٢٥ مايو

---

(١) انظر صورة هذي الحروف في (المدخل إلى تاريخ الحبشة واللغة الحبشية القديمة) تأليف د. محمد خليفة وآخرين ، القاهرة ٢٠٠١ ، لكن أن تسمع بالمعيدي خيرا من أن تراه ، لقد كانت الكتابة بدائية جدا موغلة في القدم مفردة غير متصلة ، ولا مشبكة.

(٢) المدخل إلى تاريخ الحبشة ، ص١٠٤.

١٩٦٣م - باعتبار أن الأمهرية لغة دولة المقر إثيوبيا ، والعربية لغة الدول الإفريقية في المنظمة، وقد أضيفت العربية والأمهرية إلى الفرنسية والإنجليزية بمبادرة مصرية ، أيام مصر عبد الناصر [١].

والآن بعد هذا التجوال نسرع ، نحط الرحال إلى آخر نقيطة من شديد تأثير العربية حتى ولدت لغات أخر ، حيث نختم هنا بالحديث عن :

هجرة المسلمين إلى الحبشة ، تحليل لغوي تاريخي: أشرنا قبلا إلى أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن والحبشة ، كما كان مؤذن الرسول (ﷺ) بلال حبشيا ، أو كان بلالا الحبشي ، ثم شيء آخر نضيفه لطرافته هنا ، هو شرف آخر يضاف إلى هؤلاء القوم ، إنه خاتم النبي (ﷺ) فيه (فص) وصف بأنه حبشي ، إنه من (حجر كريم يوجد في اليمن والحبشة [٢]) هكذا ارتبط الشعبان كلاهما حتى في الأحجار الكريمة على أرضهما ، وفي أصبع سيد الأولين والآخرين.

والآن نتحدث عن الهجرة من مكة إلى الحبشة ، فنقول : لما اشتد أذى المشركين بالمؤمنين الأولين في مكة أمرهم الرسول (ﷺ) بالهجرة إلى الحبشة ، وصل عددهم إلى ٨٣ رجلا عدا الأطفال ومن ولدوا في المهجر ، ما يعني أن بلاد الحبشة كان مطروقة معروفة أخبارها ذائعة شائعة في الجزيرة ، خاصة في مكة.

وعندما تأكد للزعامة القرشية أن المهاجرين أصابوا أمنة ودارا وقرارا على الجهة المقابلة من البحر الأحمر ، أرسلوا في إثرهم رجلين جلدين داهيتين إلى النجاشي لرد هؤلاء المهاجرين إلى مكة ، كان الرجلان عمرو بن العاص وعبد الله

---

(١) راجع : أبو الخير - اللغة العربية في القانون الدولي ... القاهرة ٢٠٠٤ ، ص٣٧ وبعدها ، وانظر : وافي - فقه اللغة ، ص٨٥.
(٢) المعجم الكبير ٥ / ٣٥.

ابن أبي ربيعة ، وهما من هما في قريش، ما يدل أيضا على معرفة المكيين بما عليه الحبشيون في ديارهم.

صحيح أن مساعي عبقريي قريش لم تكلل بالنجاح إلا أننا نشير إلى بعض الملاحظات :

١- عم النبي أبو طالب يرسل إلى النجاشي يحض على حسن جوار المهاجرين إلى بلاده والدفع عنهم :

ألا ليت شعري كيف في النأى جعفر

وعمرو وأعداء العدو الأقارب

وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا

وأصحابه ، أو عاق ذلك شاغب

تعلَّمْ - أبيت اللعن - أنك ماجد

كريم ، فلا يشقى لديك المجانب

تعلَّمْ بأن الله زادك بسطة •

وأسباب خير كلها بك لازب

وأنك فيض ذو سجال غزيرة

ينال الأعادي نفعها والأقارب

هذا يشير إلى جزء من دور العم أبي طالب في الدفاع عن ابن أخيه ، محمد (ﷺ) وعن ابنه جعفر (رضي الله عنه) بل إن إرسال قطعة من الشعر إلى عظيم الحبشة ليشير - في تصوري - إلى أن هذا النجاشي يعرف اللغة العربية ، ولولا هذا ما أرسل العم إليه قطعة شعر ؛ لأنه من غير المتصور أن نرسل شعرا إلى أجنبي عن لغتنا.

٢ـ إن الحوار الذي تم بإدارة النجاشي وحضوره مع المهاجرين ومع رسولي قريش تم بلغة واحدة ، هي العربية ، إذ لم يشر في الحوار إلى تراجمة ، كما كان الحوار بين أبي سفيان وبين قيصر الروم ، فيما سبق.

بل إن جعفر بن أبي طالب عندما قرأ على النجاشي وأساقفته شيئا من القرآن الكريم بكى القوم جميعا [١] بما فيهم الملك نفسه حتى اخضلت لحيته ـ ابتلت من الدموع ـ واخضلت مصاحفهم وأناجيلهم ، هذا التأثر الشديد ، الذي وصل البكاء ، لا يكون إلا عن فهم عميق لما سمعوا ، ولولا هذا الفهم العميق والمباشر ، دون ترجمة أو وسطاء ما بلغ تأثرهم هذا الحد.

٣ـ ورد فيه الحوار بعض ألفاظ وسمت بأنها حبشية مثل قول النجاشي للمهاجرين : (فأنتم شيوم عندي) آمنون ، وفي هامش سيرة ابن [٢] هشام : قال السهيلي : يحتمل أن تكون لفظة حبشية ، غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، من : شِمْت السيف ، أي أغمدته ، لأن الآمن مغمد عنه السيف ، أو لأنه مصون في حَرز كالسيف في غمده ... ا.هـ.

و(شِمْتُ) من (شام سيفه ، يشيمه : غمده ، وإستلّه ، ضد) أي : هو الأضداد ، الكلمة إذن (شام) أجوف ، تعني استل السيف من غمده ، وتعني العكس أيضا ، أي : غمده ، وضعه في غمده ، فهي تفيد معنيين متضادين [٣].

ومما ورد في هذا الحوار أيضا على لسان النجاشي : (ما أحب أن لي دَبْرا من من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم) أي من المهاجرين.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٣٦.
(٢) السابق ٢ / ٣٣٧.
(٣) القاموس المحيط ٤ / ١٣٥.

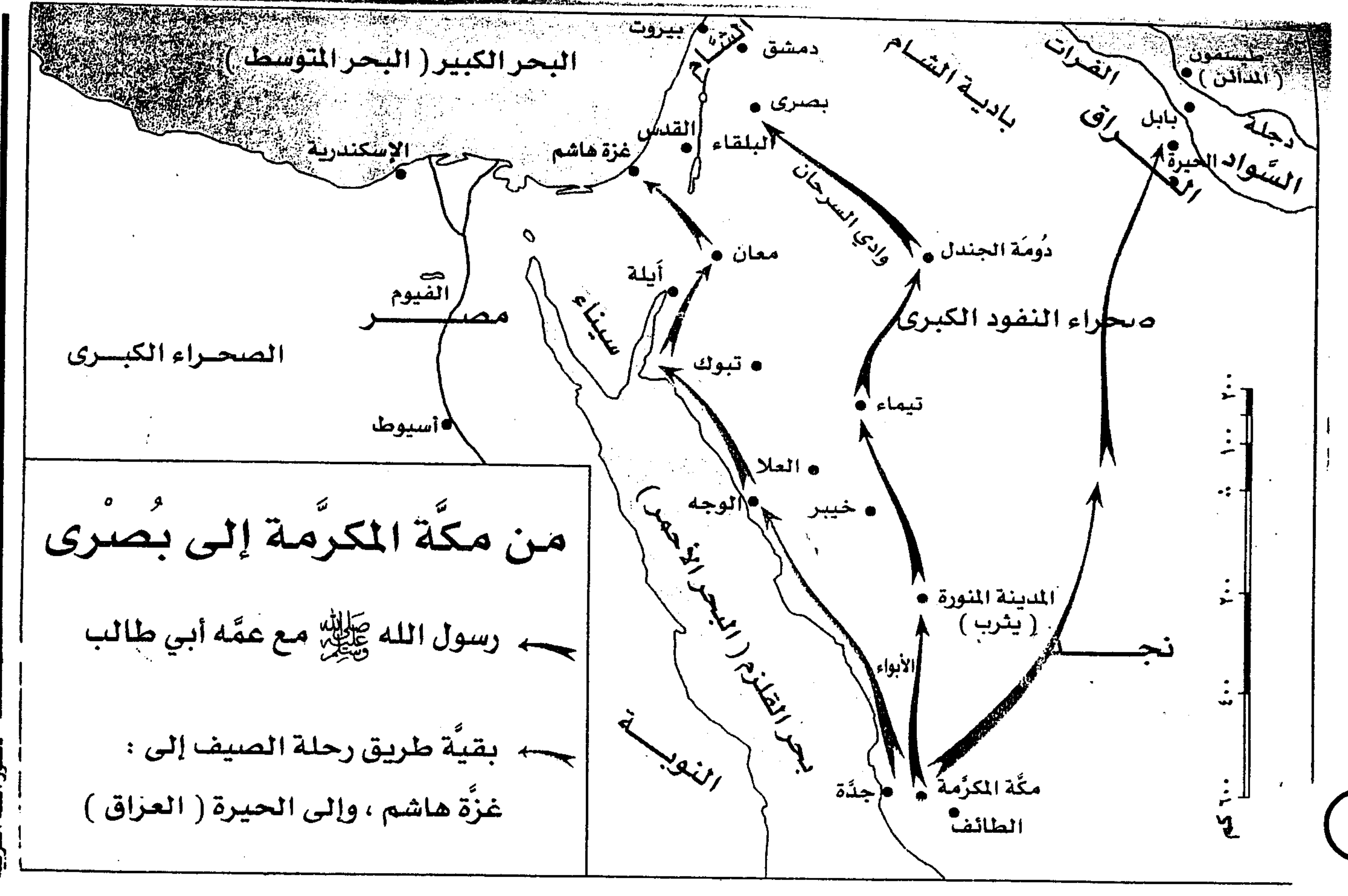
جاء في سيرة ابن هشام [1] : (والدبْر بلسان الحبشة : الجبل) وفي المعجم الكبير[2] : (والدَّبر : الجبل بلسان الحبشة ، قال الأزهري : لا أدري ؟ أعربي هو أم لا ؟) .

كل ما سبق مؤخرا يشير إلى أن الحبشة كانت امتدادا طبيعيا لمنطقة لغوية واحدة ، وإن جاءت الحبشة على الأطراف العربية لهذي المنطقة ، والتي تمتد شرقا من العراق إلى الشام وفلسطين والجزيرة العربية واليمن ، وتنتهي غربا في الشمال بمصر ، وجنوبا بالحبشة ، إنها منطقة اللغة العربية وما تفرع عنها من لهجات عربية ، أو لغات عروبية ، كما سيأتي تفصيله.

خلاصة القول في هذي المادة الثانية من دستور اللغة العربية وشرح هذي المادة تفصيلا أن العربية أكثر اللغات تأثيرا في لغات العالم حتى ولدت لغات أخر ، منها المالطية في أوربة ، والحبشية ـ القديمة والحديثة ـ والأمهرية ، في شرق القارة الإفريقية ، إذ الحبشة جزء من منطقة لغوية واحدة ومتجانسة ، وإن كانت في أقصى الطرف الغرب لهذي المنطقة العروبية.

---

(١) ٢ / ٣٣٨.
(٢) ٧ / ٦١.


من مكَّة المكرَّمة إلى بُصْرى
رسول الله ﷺ مع عمِّه أبي طالب
بقيَّة طريق رحلة الصيف إلى :
غزَّة هاشم ، وإلى الحيرة (العراق)
البحر الكبير (البحر المتوسط)
بيروت
الشام
دمشق
بصرى
القدس
البلقاء
غزة هاشم
الإسكندرية
معان
أيلة
الفيوم
مصر
سيناء
الصحراء الكبرى
تبوك
أسيوط
العلا
الوجه
خيبر
تيماء
المدينة المنورة
(يثرب)
الأبواء
مكّة المكرّمة
جدّة
الطائف
النوبة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
وادي السرحان
دُومَة الجندل
صحراء النفود الكبرى
بادية الشام
الفرات
العراق
بابل
الحيرة
السَّواد
دجلة
(المدائن)
نجد
كم

الهجرة إلى الحبشة

حينما رأى ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة إنَّ بها ملكاً لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فكانت أوَّل هجرة في الإسلام.

المادة الثالثة

{٣}

اللغة العربية في المرتبة الرابعة من حيث عدد المتكلمين بها داخل الوطن العربي ، بعد الصينية والهندية والإنجليزية

للغة - أية لغة - جانبان ، وجهان هما ، إنهما عدد المتكلمين داخل الوطن، وانتشارها خارج هذا الوطن.

ففي الجانب الأول ، عدد المتكلمين داخل الوطن ، تحظى العربية بعدد من المتكلمين وصل في بعض التقديرات إلى ٤٢٠ مليون نسمة عربية ، نفس من بنى يعرب ، أما خارج الوطن فله حديث آخر ، يأتي في مكانه.

وعليه فإن العربية تأتي في المرتبة الرابعة من حيث عدد المتكلمين ، بعد الصينية = عدد المتكلمين بها مليار، ازدادوا ثلاثمائة مليون ، ثم الهندية = مليارا ومائة مليون ، ثم الإنجليزية في حدود الخمسمائة مليون متكلم ، داخل الوطن.

ولكن الصينية والهندية لا تنافسان العربية في الانتشار خارج الوطن ، اللهم إلا بين الجاليات الصينية والهندية خارج الصين والهند ، على عكس الإنجليزية التي هي منافس قوي للعربية خارج الوطن ، على ما سيأتي شرحه.

اللغة العربية تحظى إذن بما يزيد عن ٤٠٠ مليون ملسِن باللغة العربية ، في

وطن يتسع الآن إلى قرابة ١٤ مليون ك متر مربع ، مساحة لا تتوفر لأية لغة أخرى داخل وطنها ، اللهم إلا (روسيا الاتحادية) التي تقدر مساحتها بـ ١٧ مليون ك م ، تلي روسيا ، وبهذا الترتيب في المساحة (كندا ـ الولايات المتحدة ـ الصين) وكلها مساحات تقل عن ١٠ ملايين ك م.

وإذا كانت اللغة الروسية تحظى بثلاثة ملايين كيلو فوق مساحة وطن العربية فإن معظم مساحات روسيا هي صحراوات جليدية ، في أقصى الشرق من البلاد في سيبريا ، درجة الحرارة تنخفض فقط إلى ٧٠ درجة تحت الصفر ، ثلاجات التجميد أرحم وأدفأ من رحم سيبريا.

أما الوطن العربي ، أو وطن العربي فيقع في وسط العالم وسوائه ، بين ملتقى القارات الثلاث العريقات، آسيا وإفريقية وأوربة ، في مناخ لا مثيل له في الخافقين ، في القارات والأرضيين كلها ، لا برد قارس قارص ولا حر لاهب لافح ، مناخ معتدل معتدل ، لا نظير ولا مثيل في اعتداله.

مساحة متصلة لا يفصلها ماء إلا البحر الأحمر وباب المندب ، الخليجان ، خليج السويس ، وخليج العقبة ، لا فيها جبال عالية ناطحة ، ولا وهاد منخفضة فاصلة ، لا براكين ملتهبة مخيفة ، تثور تخيف وتدمر كأنها رءوس الشياطين ، أرض مستوية تقريبا من الخليج إلى المحيط ، ومن الجنوب إلى الشمال.

ونحن نتصور أن وطن العربية في البداية كان يمتد من العراق في أقصى الشرق ، مرورا بالشام وفلسطين والجزيرة العربية ، وانتهاء بمصر في الشمال ، وشرق الحبشة في الجنوب ، في شرق القارة الإفريقية.

وبعد وفاة النبي الأكرم (ﷺ) سنة ١١ هـ - ٦٣٢ م تحركت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا حتى وصلت مغرب العرب ، ثم الأندلس - الذي تراجعت عنه العربية والإسلام بعد ٨ قرون - ثم في الجنوب في السودان الشرقي.

وهكذا يمكن القول بأن وطن العربي اتسع بعد الفتوحات وإن تراجع عن بعضها ، خاصة في أوربة وآسيا ، إلا أنه بقيت جزر لغوية ، فيها جماعات تتكلم العربية إلى الآن ، وهو ما نجده في إفريقية ، وفي إيران [١] وأفغانستان وآسيا الوسطى ... الخ ، بل وفي أوربة [٢].

واللغة العربية حظيت بأول منظمة إقليمية قامت متكئة على اللغة ، إنها جامعة الدول العربية ، والتي قامت حتى قبل منظمة الأمم المتحدة نفسها ١٩٤٥م.

وعلى هدى جامعة الدول العربية اقتداء بها وتقليدا لها قامت منظمة الدول الناطقة بالفرنسية (الفرنكفونية) يا إلهي !! من قال بهذا ؟ من نبأ به ؟ أهو من العرب ؟ إنه اللغوي الجغرافي الفرنسي رولاند [٣] بريتون ، وبعد الدول الناطقة بالفرنسية حذت دول أخرى الحذو العربي ثم الفرنسي ، المتحدثون بالهولندية والأسبانية والتركية والبرتغالية [٤] والملايو ... والبقية تأتي.

جامعة الدول العربية إذن كانت أول منظمة إقليمية تعتمد في تأسيسها على اللغة ، ثم تبعتها دول أخر ، مقرها القاهرة إضافة إلى بعض مؤسساتها في تونس أو غيرها من الحواضر العربية ، إنها تحظى باثنتين وعشرين دولة مستقلة ، ذات ٢٢ علما - بالإضافة إلى فلسطين - عدد من الدول لا يتوافر بسهولة لأية لغة من اللغات ،

(١) راجع : اللغة العربية في إيران ... ترجمة د. أحمد أبو الخير - د. أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٣.
(٢) كيس فيرستيخ : اللغة العربية ... انظر ص٢٤٧.
(٣) راجع رسالة اليونسكو ، القاهرة أبريل ٢٠٠٠ ، ص٢٣.
(٤) راجع : أبو الخير ... اللغة العربية في القانون الدولي ، ص٥٤.

اللهم إلا الأسبانية ، وخارج ديارها ومضاربها في أمريكا الجنوبية والوسطى والمكسيك والبحر الكاريبي.

وقد ذكرنا قبلا أن عدد لغات العالم بملياراته الستة والنصف يقدر بـ ٦,٨٠٠ ، إلا أن كل هذي اللغات ـ كما سلف ـ لغات أقلية ، يتكلم بها بضعة آلاف أو أقل ، عشر لغات فقط يتكلم بهن أكثر من ½ سكان المعمورة ، هذي اللغات العشر هن ، وعلى هذا الترتيب :

- الصينية.
- الهندية.
- الإنجليزية.
- العربية.
- الاسبانية ، في أمريكا اللاتينية وأسبانيا.
- الملايو ، في أندونيسيا وماليزيا وبروناي وجنوب تايلاند والفلبين.
- الأورودو ، في الهند وباكستان.
- البرتغالية ، في البرازيل والبرتغال وبعض الدول الإفريقية ، مثل : (أنجولا - جزر الرأس الأخضر ، غينيا بيساو ، موزانبيق).
- الروسية.
- الفرنسية.

لكن ترى : متى تكون اللغة - أية لغة - معرضة للانقراض أو الانهيار والاندثار؟ عندما يتخلى أهلونا عنها إلى غيرها ، أهذا ممكن ؟ إن اللغة والثقافة لا تسلب أيهما سلبا رغما قسرا ، بل أنفسهم الأناسي الذين يستطيعون أن يخلعوا عنهم رداء اللغة أو الثقافة ، إذ قد يستطيع محتل أن يسلب الإنسان أرضه وحريته ، إن أراد

المحتل يمكن أن يقتل البشر ويدمر الشجر والحجر والجدر ، يهلك الحرث والنسل ، لكنه لا يتمكن من سلب شيء من عناصر لغتك أو ثقافتك ، إلا إذا تنازلت أنت طوعا طوعا، لا كرها ولا قسرا عن شيء مما سبق.

فهل العرب يمكن أن يفكروا في التنازل عن أية جزئية من جزئيات اللغة أو الثقافة ؟ كلا وألف كلا ، لكن يا متحدثا باسم بني يعرب ، هناك من العرب من هو على استعداد ليبيع كل شيء في دنياه أو في أخراه ، لكن ما هو الثمن؟ كلا ، لا ثمن، مهما كان بخسا ، ولا يحزنون ، ولكن لقاء كلمة هو على يقين من كذبها ، لقاء وعد كاذب مضحك هو على يقين من كذبه ، مثل ؟ مثل وعد من المحتل بالديمقراطية ، والتنمية ، والرخاء، والحرية ، وفي جرح فلسطين الدامي ، لا يندمل أبد الدهر ، وعد بوقف الاستيطان ، أو بدولة فلسطينية سادة - يا سادة - بلا حدود محددة ، منزوعة السلاح تماما ، والدسم والسيادة ، واللون والرائحة ، ويجد المحتل من يصدقه ، أو يتظاهر بتصديقه ، ويدعو إلى ما يدعو له المحتل.

نعم من الأصناف ما ذكرت ، ولكنهم قلة في هذا العالم العربي ، والغالبية العظمى من بني يعرب لا توافق على التخلي عن لغتها ، على الأقل حتى الآن في بدء النصف الثاني من عام ٢٠٠٩.

ومن ناحية أخرى يمكن أن تسقط أوراق اللغة حتى آخرها ، حتى آخر صبابة منها ، إذا انقرض متكلموها عن آخرهم ، وإذا قل متكلموها عن مائة ألف ، ولا أخال ولا أظن هذا يحدث لبني يعرب ، فإن الله بارك في نسلهم حتى لم تعد تجد رجا أو شقا من شقوق الأرضين إلا وفيه من بني يعرب ، وفي ذات الوقت لا يزال يتعلق بأهداب لغته ، ويتخذها سفينة نجاة له ، ومطية الهوية والثقافة.

إذن العربية ليست معرضة للانهيار ، لكن أهي معرضة للأخطار ؟ بكل توكيد : نعم معرضة للأخطار ، فما هي ، ما هيه بالله عليك ؟ على رأس هذي الأخطار التعليم بغير العربية ، باللغة الأجنبية ، خاصة في المراحل الأولية ، في رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية ، وفي المرحلة الجامعية ، وهذي بعض ما قال المختصون في هذا المجال :

- إن اللغة تكون دائما في خطر ، إذا لم تك جزءا من المنهج المدرسي.
- إن أفضل طريقة للقضاء على لغة ما ؟ ما هي - رحمك الخالق الباري - أو ماهيه ؟ تدريس لغة أخرى مكانها.
- من المحتم أن اللغات التي لا تدرس في فصول الدراسة، ويقتصر استخدامها في المنزل ، وربما في الفن الشعبي سوف تكون في النهاية خارج البيئة الثقافية التي تغذيها [1].
- وفي الحديث الشريف : (من كان يحسن أن يتكلم بالعربية ، فلا يتكلم بالعجمية) باللغة الأجنبية ، لماذا يا نبي الله ؟ (لأنه يورث النفاق [2]).

ولابن تيمية تعقيب طيب مطول على هذا الحديث الشريف ، نقبس بعضه ، ونضيف ما نرى وما نجد :

إن تفسير بعض العلماء: (أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية) أي يحشرون في كلامهم العربي بعض الكليمات الأجنبية ، كما يفعل بعض المتفيهقين الآن من حشر بعض الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرهما ، فتسمع تقول : ميرسي بدل (شكرا) أو سُري بدل (عفوا) أو (عذرا) أو سستم بدل (نظام) إلخ.

(١) راجع رولا بريتون ، رسالة اليونسكو ص٢٤.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ... ص١٨٣.

أمـا أن يـصل إلـى التعلـيم وإجبـار الـصغار والـصغيرات علـى الحـديث باللغـة الأجنبية ، وحتى في المنازل، فوالله ورب الكعبة ، إنها لإحدى الكبر ، إحدى الفواقر، إحدى الدواهي الداهيات المهلكات.

يقول ابن [1] تيمية : اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، ولأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولأهل السوق ، أو للأمراء ، أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه والفهم ، فلا ريب أن هذا مكروه ـ كراهة تحريم ـ فإنه من التشبه بغير العرب.

ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا بعض البلاد ولغتها غير عربية ، كما حدث في المغرب ـ ولغة أهلها كانت البربرية ـ عودوا أهل هذي البلاد اللغة العربية ، حتى غلبت على الأمصار ، مسلمهم وكافرهم ، وهكذا كانت خراسان [2] قديما ، ولكن أهلها تساهلوا في أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بغير العربية ، وغلب هذا عليهم ، فصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه ، نعم مكروه ، لكن كراهة تحريم ، لا تنزيه.

إنما الطريق الحسن ، والصح والصحيح اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور والكتاتيب ، فيظهر شعار الإسلام وأهله ، ويكون هذا أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة ، وكلام السلف ، بخلاف من اعتاد لغة ، ثم أراد أن ينتقل إلى غيرها ، إن هذا صعب عليه.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص١٨٤.
(٢) تقع الآن شمال شرق جمهورية إيران ، على الحدود مع تركمانستان ، ولازالت فيها بعض المناطق التي تتحدث لهجة عربية ، هؤلاء الناس يسمون أنفسهم بالعرب ، ولعلهم ينتمون إلى عرب وسط آسيا في إقليم بخارى ، التي انتمى إليها الإمام البخاري صاحب الصحيح . تقع بخارى الآن في جمهورية أوزباكستان ، انظر :"اللغة العربية في إيران ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ـ د. أحمد فريد ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٤٣.

إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.

إن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ، هو فرض عين ، ومنها ما هو واجب على الكفاية ، أي إذا قام به بعض الناس سقط عن الباقين.

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما : ... أما بعد فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن ، فإنه عربي.

وقال عمر أيضا : تعلموا العربية ؛ فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض - المواريث - فإنها من دينكم.

وما أمر به عمر (ﷺ) من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه ، لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال ، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله ... انتهى كلام ابن تيمية مع تصرف يسير.

وفي مؤتمر قسم اللغة العربية بماليزيا ديسمبر ٢٠٠٧ وفي الجلسة الختامية قال نائب عميد كلية معارف الوحي : (إنا نوقن أن الإنسان لا يكون قويا إلا بالقرآن الكريم ، ولا يفهم القرآن إلا باللغة العربية ، وقد جئنا بكم هنا لكي تعلمونا اللغة العربية).

على أي الأحوال فإن العربية تتعرض في عرينها للخطر ، وللخطر الحقيقي ، سيما في مجال التعليم ، ومن ثم نهضت جمعيات أهلية تجاحش وتنافح عن العربية ،

بدأت من قاهرة المعز ، جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية ١٩٩٢ على يد مؤسسها المرحوم الدكتور عاطف نصار ، ومن عباءتها كانت : (الجمعية المصرية لتعريب العلوم ، ثم جمعية حماة اللغة العربية عام ٢٠٠٠).

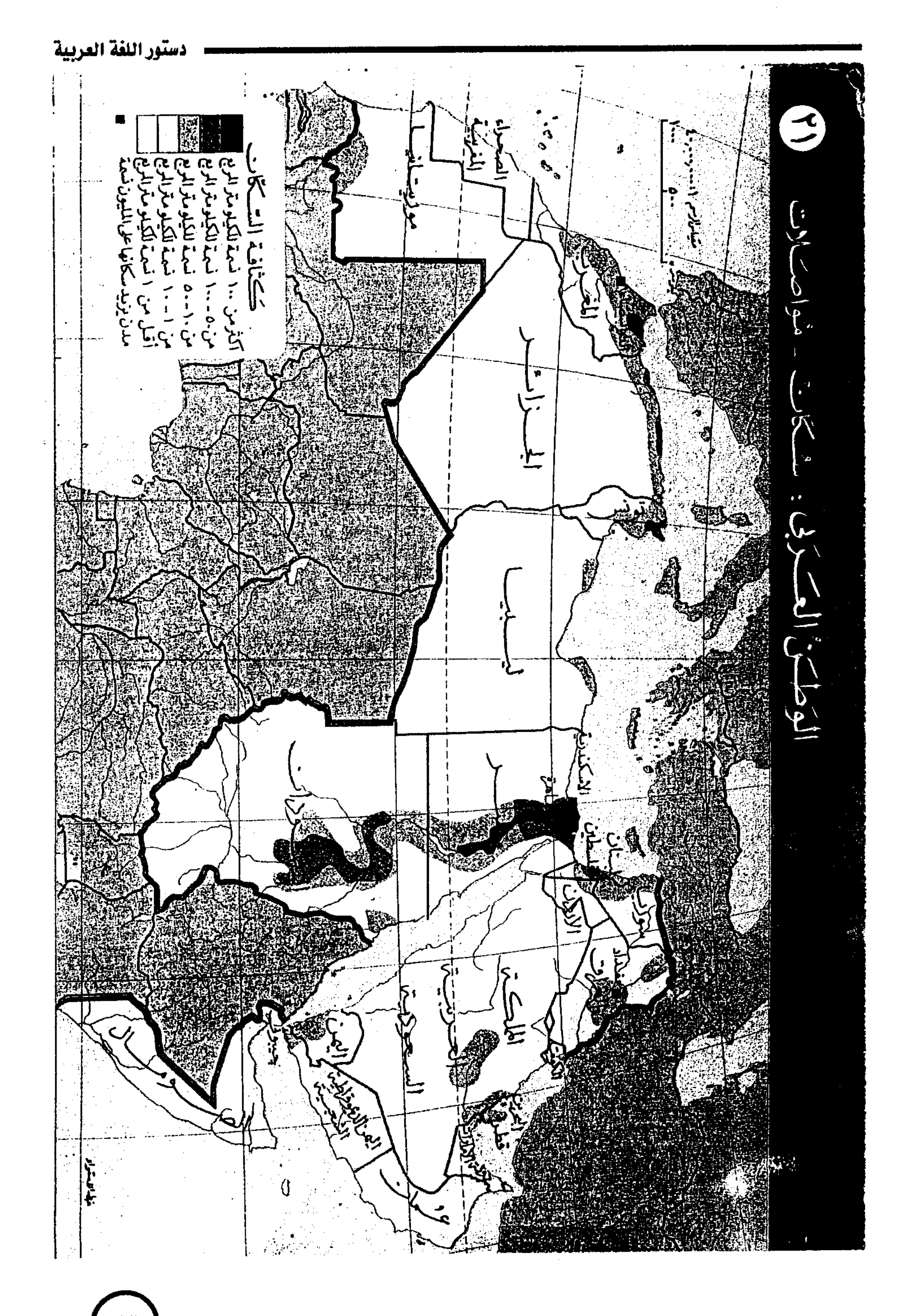
ثم انتقل أريج هذي الجمعيات إلى شرق الوطن العربي ، جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة (الإمارات) ثم في عام ٢٠٠٧ كانت (الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية) التي رفعت شعار : (خاطبني بلغتي يا ابن بلدي).

هذي الجمعيات داخل الوطن - سيما في قاهرة المعز - تمكنت من إخراج قضايا العربية ومشكلاتها ومعضلاتها من الحجر المغلقة إلى جمهور الناس ، ودفعت بقضية اللغة العربية إلى وسائل الإعلام خصوصا الصحافة والإذاعة ، كما التف حولها كل المحبين المخلصين للغتهم وأمتهم ، ولا تزال القافلة تسير في الطريق إلى أهدافها الطموح.

أما جمعيات اللغة العربية خارج الوطن فلها حديث آخر في مكانه من دستور اللغة العربية.

وطن اللغة العربية

وطن اللغة العربية يتسع ١٤ ك م من المحيط إلى الخليج ، من الشمال إلى الجنوب ٢٢ دولة = ٤٢٠ مليون نسمة في أوسط موقع في العالم وسوائه ، لا فواصل ، لا جبال شاهقة ، ولا وهاد فارقة ، مناخ متميز ، لا زلازل خطيرة ولا براكين حارقة ، إنها بركة أنبياء الله والصالحين المخلصين ممن سلف ، ومن الخلف أيضا.


٢١
الوطن العربي: سكان - مواصلات

المادة الرابعة

{٤}

عدد المتكلمين بالعربية يتزايدون ، في حين يقل عدد المتكلمين بلغات أخر ، على رأسها اللغات الأوربية الخمس الرئيسة ، الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والبرتغالية

عندما أوشك القرن الأخير من الألفية السابقة على الانتهاء ، ومع بزوغ القرن الأول من الألفية الثالثة الحالية واجه علم اللغة ومصير عديد من لغات العالم التي نقلنا ـ قبلا ـ أنها قدرت بحوالي سبعة آلاف لغة ، الموجودة على ظهر كوكبنا منعطفا تاريخيا خطيرا ، متطلعة إلى مستقبل متغير[١] .

خريطة العالم اللغوية يمكن أن تشهد تغيرات وتطورات وتحولات لم تك ـ أو ربما ـ لم تك في الحسبان.

وإذا كان ماريوباي[٢] ذهب أن عدد اللغات التي تملك جمهورا يبلغ المليون فأكثر لا يتجاوز المائة بكثير ، في هذي المائة فقط ١٣ لغة يتكلم بها أكثر من ٥٠ مليونا ، منهن بكل توكيد لسان بني يعرب والذي وضعه فلوريان كولماس ـ صاحب

(١) ورام ، ستيفن : اللغات المعرضة للأخطار والتعددية اللغوية وعلم اللغة ، ترجمة عبد الحميد الجمال ، مجلة ديوجين، مطبوعات اليونسكو ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص٧٣.
(٢) أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص

كتاب [1] اللغة والاقتصاد ـ ضمن مجموعة الخمس عشرة جماعة لغوية ، هن الأكثر عددا في العالم.

لقد سبَق وسبق أن العربية داخل الوطن هي في المرتبة الرابعة من حيث عدد المتكلمين ، بعد اللغيات الصينية والهندية والإنجليزية ، ليس هذا فقط ، ليس هذا فقط ، بل إن عدد المتكلمين بالعربية يتزايدون ، ويتزايدون ، كنا ـ نحن العرب ـ على أيام الراحل العظيم ، الزعيم جمال عبد الناصر مئة مليون فقط ، نحن الآن في عام ٢٠٠٩ فوق ٤٠٠ مليون ، كما توقع المتو... الذين يرو... ... سوف يزيدون بعد عشر سنوات تقريبا ، أي في ... عن ½ مليار نفس تشدو باللغة العربية [2].

ولكن من قال بأن عدد المتكلمين بالعربية يزيدون ، في حين يقل عدد المتكلمين بلغات غيرها ؟ إنا نعتمد في هذا على مصدرين، كتاب صدام الحضارات [3] صاحب الصيت المدوي عبر العالم ، والثاني كتب الجغرافيا البشرية التي ترصد حركة عدد السكان في شتى القارات ، زيادة أو نقصانا :

أولا ـ كتاب صدام الحضارات: في ذياك الكتاب جاءت إحصائيات البروفيسور سيدني كلبرت في جامعة واشنطن عن عدد المتكلمين بلغات ينطق بها مليون نسمة فأكثر ، كما تنشر سنويا في : World Almanac [4] & Book of Facts

(١) ترجمة أحمد عوض ، عالم المعرفة بالكويت ، نوفمبر ٢٠٠٠ ، ص٨٢.
(٢) العيسوي : أسس الجغرافيا البشرية ، الإسكندرية ٢٠٠٢ ، ص٤١٥.
(٣) ترجمة طلعت الشايب ، القاهرة ١٩٩٩.
(٤) معناها تقويم، وهي كلمة عربية انتقلت إلى اللغة الإنجليزية عبر الأسبانية، التي تأثرت كثيرا بالعربية، في اقتراض عديد من الكلمات ، خاصة ما بدأ بالألف واللام ، أداة التعريف العربية.
أما أصلها العربي الذي ... الكلمة فهي ـ وعلى عهدة المهندس عبد المنعم الغروري الباحث في اللغة العربية ـ ... لها من العربية إلى الأسبانية إلى الإنجليزية تحولت إلى الصيغة الإنجليزية : ...nac

لقد أظهرت البيانات المتاحة ، والتي غطت أكثر من ثلاثة عقود (١٩٥٨ إلى ١٩٩٢م) إلى ما يلي :

١- زيادات طرأت في نسبة المتكلمين ببعض اللغات ، منها الملايو ، والهندية والعربية.

٢- المتكلمون باللغات الأوربية الرئيسة ، وهن : (الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية - البرتغالية - الأسبانية) انخفضت نسبتهم من ٢٤,١% من سكان العالم عام١٩٥٨ إلى ٢٠,٨% سنة١٩٩٢، أما نسبة المتكلمين بالإنجليزية في العالم فقد انخفضت من ٩,٨% سنة ١٩٥٨ إلى ٧,٦% عام ١٩٩٢م.

إن هذي الإحصائية الأخيرة حول الإنجليزية أهديها لبعض بني جلدتنا الذين يلهثون حول سراب اللغة الإنجليزية ظانين واهمين أنها مفتاح الجنان على كوكبنا ، تماما تماما ، كما ينهار الدولار الأمريكي وتتآكل قيمته وتتناقص ، ومع هذا يجد كثيرا من المجاحشين عنه والداعمين.

على أي الأحوال فإن حقيقة مؤكدة الآن أن بعض شعوب العالم تتزايد عددا ، ولا تنقص ، في مقابل شعوب وجماعات أخر ، لا تزيد ، بل تتجه نحو التناقص ، نحن العرب تزيد ويكثر عديدنا ، ولا ينقص ، وهذا ما نجده في :

الثاني : كتب الجغرافيا البشرية : تشير تيك المراجع أن أنواعا من البشر يزيدون ، وآخرون يقلون فمن الأولين الذين يزيدون ، ولا يقلون :

- العرب والمسلمون.
- الإفريقيون.
- أمريكا اللاتينية.

أوربة والغرب والدول الغنية بشكل عام يقلون ، ولا يزيدون ، بمجرد انهيار الأسرة ونظام الزواج يعاقب البشر بنقصان أعدادهم ، في عد تنازلي نحو الانقراض والفناء ، وهذي أمثلة ، مجرد أمثلة :

١- كنت في أكرانيا عامي ٩٨ ـ ١٩٩٩ ، قال العالمون ببواطن الأمور ، إن الشعب الأكراني تناقص عدده من ٥٦ مليون نسمة إلى خمسين فقط ، أما الآن فإن الأكرانيين يقدرون بـ ٤٧,٧ تقريبا ، أقل بكثير من ٥٠ مليونا ، وفسر هذا وأرجع إلى الأزمة الاقتصادية ، وما أراه أن غياب نظام الأسرة والزواج وقيم الأثرة والأنانية تدفع بالشباب والشابات إلى تأخير الزواج ، وتأخير الإنجاب ، وحصره في أضيق نطاق ، طفل واحد أو طفلان على الأكثر ، فإذا توفى الوالدان أو أحدهما ، وأحيانا الطفل ، فإن النتيجة سوف تكون تناقص عدد القوم ، أو على الأقل ثباته ، خاصة إذا قلت نسبة الخصوبة أو الزيادة عن ١% ، وهي في جمهورية أكرانيا ٧٨% ، في بعض التقديرات.

٢- ألمانيا : سكان ألمانيا ، وهي الأكثر سكانا في أوربة بعد روسيا الاتحادية لا يزيد سكنها ، بل ربما يتناقصون من ٨٣ مليونا أو أزيد قليلا إلى ما تحت ٨٢ مليونا ، نسبة الخصوبة في ذياك البلد ¼ في المائة ، يزيد قليلا ، هو على وجه التحديد ٢٧%،فألمانيا أقل دول الاتحاد الأوربي خصوبة ، آخر الإحصائيات أن دول هذا الاتحاد وصل عديدها إلى نصف مليار فقط .

٣- ماليزيا وباكستان : في إحصائيات للسكان نشرت ١٩٦٨ كان سكان مملكة ماليزيا ـ والتي يختار ملكها ويتغير كل خمس سنوات ـ في ذياك العام ½ ٩ ملايين تقريبا ، الآن سكان المملكة بقسميها الشرقي في (صباح وسرواك)

والغربي ، القسم الرئيس ، في شبه جزيرة الملايو يقدر حسب إحصائيات نشرت ٢٠٠٩ بـ ½ ٢٣مليونا ، أي أن عدد السكان في ذياك البلد زاد من عام ١٩٦٨ إلى الآن حوالي ٢٥٠%.

وعندما كنت في ماليزيا نهاية عام ٢٠٠٧ ذكر لي أن عدد السكان وصل ٢٧ مليونا ، وأن التركيبة السكانية تغيرت من :

- ٤٠% للملايو في بداية التسعينات إلى ٦٠% الآن.
- ٤٠% للجالية الصينية إلى ٣٠%.
- ٢٠% للهنود وجنسيات أخرى إلى ١٠%.

منذ اليوم الأول الذي رأيت فيه العاصمة كوالالمبور أحسست على الفور بزيادة ملحوظة في عدد الملايو ، وانكماش في عدد الصينيين والهنود ، وعندما سألت الاختصاصيين أنعموا على كلامي وأيدوه ، وذكروا ما سلف من الإحصائيات المؤيدة لكلامي وملاحظاتي.

كما لاحظت في رحلتي الثالثة إلى ماليزيا عدة تغيرات في المجتمع الماليزي والتي أيدني فيها كثير من الزملاء العرب والماليز ، وهي :

- زيادة عدد الأسرة الماليزية ، من طفل واحد إلى خمسة أطفال الآن.
- ظهور تعدد الزوجات بشكل واضح.
- زيادة عدد الزيجات المختلطة بين الماليز وبين غير المالزيات ، وبين الماليزيات وبين غير الماليزيين من العرب أو من الإفريقيين أو من غيرهن ، وغيرهم.

وفي هذي الزيارة أيضا والتي استمرت أسبوعين كاملين نشرت الصحف أن عددا متزايدا من الصغيرات القاصرات اختطفن وقتلن ، وتظهر المسألة وكأنها اختطاف بغرض الاغتصاب ثم القتل ، ولكني أحس إن هذا رد إجرامي من عصابات دولية أو محلية ، أو جهات دولية ترد بطريقتها على زيادة نسل الملايو ، محاولة لإهلاك النسل المتنامي لهؤلاء القوم ، والله أعلى وأعلم.

ماليزيا أو مملكة ماليزيا إحدى الدول المتحدثة بالملايو - كما سلف - مع أندونيسيا وبروناي ، ثم جنوب تايلاند والفلبين ، فإذا كان عدد السكان يزيدون في تيك البلدان ، فلا شك أن عدد المتحدثين بتيك اللغة يزيدون بالضرورة والتبعية.

أما باكستان ، وهي تتحدث الأوردية إضافة إلى مسلمي الهند - فقد قدر السكان ١٩٦٥ بـ ١٠٥ ملايين من الأنفس ، في باكستان الشرقية - التي أصبحت بنجلاديش منذ ١٩٧١ - وباكستان الغربية التي تسمى الآن باكستان ، هذه الأخيرة وحدها الآن يقدر ساكنوها بحوالي ١٦٠ مليونا ، بنجلاديش هي الأخرى يقدر قاطنوها الآن بـ ١٤٢ مليون نسمة تقريبا.

الخلاصة أن عدد الغرب يقل ، وعدد المتكلمين بالتبعية بلغاته يقلون بسبب تآكل روح الأسرة ونظام الزواج بفعل الأنانية والأثرة التي انطبع عليها القوم في تيك البلدان.

على العكس منهم يزيد العرب والمسلمون والإفريقيون وفي أمريكا اللاتينية ، والفقراء بشكل عام الذين يلوذون بروح العائلة وعون العائلة في التغلب على مشاق الحياة ومآسيها وصعوباتها.

ناهيك عن تعدد الزوجات ، خاصة في القارة الإفريقية ، حيث يشيع التعدد بين القوم ، كما رأيت في نيجيريا ، عندما عملت فيها عامي ٨٣ ـ ١٩٨٤ ، إذ الشائع لديهم ٣ زوجات ، ثم أربع ، ثم اثنتين ، القليل القليل ممن تعلم في الخارج ، خاصة في أوربة أو مصر ، هذا القليل فقط كان يتخذ زوجة واحدة ، لكن العجيب أن متوسط إنجاب المرأة النيجيرية كان في المتوسط عشرة مواليد ، في أحوال قليلة ستة أو سبعة.

أحد المتزوجين بأربع نسوة كان لديه ـ بالصلاة على النبي وآله ـ أربعين ولدا وبنتا ، أحد تلاميذي في الدراسات العليا ذكر لي أن لديه ـ فقط ـ أبناء هم سبعة عشر من العيال ، الرجل كان فقط فقط متزوجا من ٣ نسوة ، ليس إلا.

إحدى النساء اليمنيات في إحدى الندوات في كلينا ، آداب دمياط ، صفق لها الطلاب والحضور بحماس شديد عندما علموا أنها أنجبت فقط من العيال = سبعة عشر ، ليس إلا ، إنها إرادة الخالق ، ولا راد لقضائه.

إحدى الفضائيات العربية أجرت تحقيقا حول تعدد الزوجات في القارة الإفريقية، الزوجة الأولى والتي تعتبر سيدة البيت والزوجات الأخريات بحكم الأقدمية زوجها تزوج عليها مرتين ، بعدها سألوها : ألا تغضبي بسبب الزواج عليك؟ قالت : كلا، ففي الزواج بالأخريات مكاسب كثيرة وفوائد ، لا مصائب ، منها :

- أن الزوجات الأخريات يعاونَّ في عمل البيت ما يؤدي إلى راحتي.
- زيادة الرزق ، فإن الزواج باب واسع من أبواب الرزق.

وهكذا تؤدي الحياة في الغرب المتقدم والغني إلى نقصان في أعداد الشعوب ومتكلمي اللغات في حين تؤدي حياة الأسرة ودفؤها بين العرب والمسلمين

والإفريقيين وفي أمريكا اللاتينية وبين الفقراء بشكل عام إلى زيادة أعداد وشعوبها والمتكلمين بلغاتها.

حادث كوني مدوٍ ومدوي كان له انعكاسات وتأثيرات لغوية شديدة العمق، عظيمة الخطورة، إنه انهيار الاتحاد السوفيتي السابق نهاية عام ١٩٩١، وقد رصد صمويل هاتنتجنون تلكم التأثيرات والانعكاسات فيما يلي :

أولاً - تراجع اللغة الروسية والحرف الروسي: أفول نجم الامبراطورية شجعت انتشار وتجديد اللغات التي كانت مقموعة ومنسية، جهود كبيرة تجري في معظم جمهوريات الاتحاد السابق لإحياء لغاتها التقليدية، اللغات الإستونية واللاتفية والاكرانية والجورجية والأرمنية والآذرية ... الخ هي اللغات القومية الرسمية للدول المستقلة.

فقد رأيت في أكرانيا مثلا أن جيل الشيوخ لا يعرف غير الروسية، ولا يزال يسمى العملة الأكرانية الحالية (الجرفنة) بذات الاسم الروسي للعملة الروسية (الروبل).

أما الأجيال الشابة وطلاب الجامعات والمدارس فإنها تشق طريقها نحو تعلم اللغات الأجنبية، شرقية وغربية، أوربية وغير أوربية، ففي معهد الشرق والغرب بجامعة كييف الحكومية للغات كان عندنا لغات أوربية غربية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) ولغات شرقية (العربية والصينية والتركية) وكان على الطالب أن يختار لغة شرقية، وأخرى غربية، كان يختار مثلا الألمانية والعربية، أو ... أو ... الخ.

سياسة لغوية متوازنة ، لا تنحاز للغة واحدة أو ثنتين ، كما تفعل بعض الدول العربية ، عندما تكرس كل جهودها في تعليم الإنجليزية أو الفرنسية أو كليهما ، تغض النظر عن غيرهما من اللغات ، بل يمكن أن تفعل هذا على حساب لغتها القومية ، فتكون النتيجة الحتمية المؤكدة أن المواطن أو ـ المواطنة ـ لا يجيد اللغة الأجنبية بما هو المطلوب والمفترض ويجهل لغته تماما تماما ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن ناحية فإن أكرانيا المستقلة كانت تشترط على أصحاب المناصب الرفيعة والوظائف أن يجيدوا الأكرانية ، اللغة الرسمية للبلاد ، ومن ثم بدأت اللغة الروسية في هذا البلد وفي غيره تأخذ طريقها نحو الانزواء والتآكل.

أما الجمهوريات الإسلامية فقد حدث فيها تحولات لغوية مماثلة ، ففي أذربيجان وتركمانستان وأزباكستان ... عادت إلى لغاتها القومية ، كما تحولت عن الأبجدية السيريلية لمحتليهم السابقين ـ الروس ـ إلى الأبجدية الغربية لأقاربهم الأتراك ، في حين عادت طاجكستان ـ التي تتكلم الفارسية ـ إلى الحرف العربي.

وفي زيارتي إلى باكو [1] نهاية ٢٠٠٨ رأيت ولاحظت ما يلي :

١ ـ قيل لنا إن ٩٥% من الشعب الآذري شيعة ، ومع هذا فإن هواه مع تركيا.

٢ ـ سألنا الزملاء الذين التقيناهم بشكل محدد : (هلْ يفهم الآذري التركي ، والعكس ، أم يحتاجان إلى مترجم ؟) يفهمان بعضهما بشكل جيد ، هم يعتبرون أنفسهم جزءا من الشعب التركي ، ولغتهم من اللغات الأتراكية.

(١) تساحل أذربيجان بحر الخزر وتشاطئه ، وكذا الحاضرة باكو ، مساحة هذي الدولة (أقل من ٩٠ ألف ك م) عدد السكان ٨ ملايين.

٣- بعض المستشرقين أهدوني شيئا من مؤلفتهم باللغة الآذرية ، مكتوبة بالحرف اللاتيني ، وإن كان لها ملخص عربي ، مثل الدكتورة ماهرة حميد عميدة كلية الأقاليم في جامعة أذربيجان الدولية في العاصمة باكو والتي عقدت أول مؤتمر لها عن الوسائل الحديثة في تعليم اللغة العربية بحضور رئيس الجامعة السياسي ورجل الأعمال إلشاد إسلام عبد الله ييف ولفيف من السفراء والدبلوماسيين العرب والمستشرقين والطلاب والأساتذة العرب في ديسمبر ٢٠٠٨.

كان من الواضح في تلك الرحلة الأولى إلى حاضرة أذربيجان أن الآذرية أصبحت اللغة الرسمية ، وهي تكتب بالحرف الأوربي اللاتيني.

ثانيا - الاقتباسات التركية والعربية : والرواسب اللغوية التي خلفتها الإمبراطورية العثمانية على مدى ٤٥٠ سنة في البلقان قد عادت مرة أخرى إلى الرواج في البوسنة ، انتهى كلام هنتنجتون [(١)].

ولعل الحرب الظالمة المجرمة في ذياك البلد كانت وراء عودة المسلمين هناك إلى الاعتصام بالتراث العربي والعثماني ، تيك الحرب التي تجعل الولدان شيبا والحليم حيران حيرانا.

خلاصة القول أن عدد المتكلمين بالعربية في ازدياد ، هم الآن أزيد من ٤٠٠ مليون ، يتوقع أن يزيدوا إلى ٢/١ مليار بعد عشر سنوات ، أو في عام ٢٠٢٠ ، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر الصفحات ١٠٤ - ١٠٦.

فالعرب والمسلمون والإفريقيون وفي أمريكا اللاتينية يزيدون، والفقراء بشكل عام ، في مقابل الغرب وشعوبه التي يقل عددها ، وبالتالي عدد المتكلمين بلغاته ، وقد حاولنا تعليل ما سبق والاجتهاد فيما وراء الأشياء والمعلومات والإحصائيات .

ومرة أخرى - مع الاعتذار للقارئ - نعود مرة أخرى إلى هانتنجون الذى يعترف بأنه مع تدهور قوة الغرب - وهيبته - تدريجيا بالنسبة للحضارات الأخرى ، فإن استخدام الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية الاستعمارية سوف يقل تدريجيا داخل المجتمعات غير الغربية وكوسيلة اتصال فيما بينها .

وأنا أقول بملء فمي وفي : كان الغرب قدوة ومثلا يحتذى ، لكن بعد مشاريعه المدمرة فى فلسطين الدامية والعراق الجريح وأفغانستان الصبور والصومال الممزق ظهر الوجه الغربي الحقيقي ، ولا أقول ظهر الوجه القبيح للغرب ولكن أقول بيقين ظهر الوجه الحقيقي ، فقط سقطت عنه أقنعته الزائفة المزيفة .

المادة الخامسة

{٥}

اللغة العربية ليست لغة حبيسة ، إنها لغة عالمية واسعة الانتشار ومؤهلة لانتشار أوسع

هذي اللغات التي تنتشر على هذه المعمورة المبسوطة والتي تقدر ببضعة آلاف معظمها لغات حبيسة ، لا يعرفها ، ولا يتعلمها غير أهليها ، مثل اللغات : (المالطية - الجورجية - الفيتنامية - السيشيلية - الأستونية - الدانمركية - النرويجية - الفلندية) ... الخ.

على العكس مما سبق هناك لغات ليست حبيسة ، إنما هي لغات عالمية ، واسعة الانتشار بين غير أهليها ، بل هي مؤهلة لانتشار أوسع ، أو هي بالفعل تتوسع في انتشار وتتمدد وتتمطى ، على رأس هذي اللغات الموسومة الموصوفة بتيك الصفة ثلاث لغات هن الأشهر على مستوى العالم ، هذي الثلاث هي : العربية والإنجليزية والفرنسية ، كيف ، ومن قال بهذا ؟ نجيب هذا المسآئل بما يلي :

أولا - إن الإحصائيات العالمية توكد أن اللغة العربية تحتل المكان الثالث بين اللغات المستخدمة في الإذاعات الأجنبية الموجهة بعد الإنجليزية والفرنسية [(١)].

سيدي : نحن الآن في عصر الفضائيات والقنوات الفضائية الشهيرة الفتية ، وفي عصر البث الرقمي، فهل في الجعيبة شي - شيء - عما سبق؟ نعم ونعم ، كيف؟

(١) عبد العليم ويحيى فرغل : الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام ، مؤتمر اللغة العربية في وسائل الإعلام ، دار العلوم بالقاهرة ٢٠٠٢ ، ص٣.

وقبل أن نجيب عن كيف هذه تجب الإشارة وجوبا لا جوازا أن أهم ما يتميز به البث الرقمي على البث التقليدي القديم أن الصورة والصوت كليهما، إما أن يأتيا صحيحين معافين تامين أو لا يأتيان البتة ، في البث القديم كانت الصورة تأتي مشوشة أو ضعيفة أحيانا ، وكذا الصوت ، يبتعد ويقترب ، ينخفض ويعلو ، أما الآن فلا ، وألف لا ، أي ضعف في الإرسال تجد على الشاشة (الإشارة ضعيفة أو معدومة) غير موجودة.

وعليه فإن المستمع ـ والمشاهد ـ يستمتعان بصوت نقي نقي واضح شديد شديد الوضوح، على عكس ما كنا في السابق نعاني كثيرا في الاستماع إلى الإذاعات الأجنبية الموجهة إلينا ـ فلله الحمد والمنة ـ كان هذا قبل عشر سنوات فقط ، أو أكثر قليلا.

على أي الأحوال نضيف إلى الإحصائيات التي نصت على أن العربية إحدى اللغات التي استخدمت في الإذاعات الموجهة ، ليس من العالم العربي فقط ، سيما في العهد الناصري ، ولكن من العواصم الغربية العتيدة (هنا لندن ـ صوت أمريكا سابقا ـ الآن راديو سوا ـ مونت كارلو ـ صوت ألمانيا) ... الخ.

نحن نضيف ما يلي :

١ـ في إحصائية على القمر الأوربي أجريتها ـ ٢٠٠٢ ـ رأيت على ذياك القمر : (٣٣ فضائية عربية ـ ٢٢ فضائية باللغة الإنجليزية ـ ٥ فضائيات باللغة الفرنسية) فالعربية هي الأولى إذن ، وعلى القمر الأوربي ، كما وجدت أيضا ٨٠ فضائية بلغات أخرى غير العربية والإنجليزية والفرنسية.

٢ـ ولكن كم عدد الفضائيات العربية الآن يا طويل العمر وجميل الذكر ؟ يقدرها الإعلاميون العرب بـ ٦٠٠ فضائية ، إضافة إلى الإذاعات الموجهة والتي انتقلت

إلى البث الفضائي الرقمي ، هذي الإذاعات هن بكل توكيد أكثر وأكبر بكثير من الفضائيات الناطقة بالعربية.

٣- تلكم الفضائيات لا تبث من العالم العربي فقط ، أو هي تابعة للعرب فقط ، حكومات أو مؤسسات ، وإنما هناك أيضا قنوات تبث من خارج العالم العربي، من لندن : هيئة الإذاعة البريطانية ، من ألمانيا ، قناة الأخبار الأوربية ... الخ.
ومن إيران : قنوات العالم والكوثر ، الأولى تبث على مدى الساعة ، والثانية أتحفت المشاهدين بأعمال درامية عملاقة ، مثل (مريم المقدسة - يوسف الصديق) كل هذا يدل على أهمية العالم العربي ، وأهمية اللغة العربية في دنيا اللغات.

٤- وإضافة إلى ميزة البث الرقمي الفائق الوضوح ، فإن الفضائيات العربية تبث على مدى الساعة ، ما يجعل العربي في بلده أو خارج بلده يمارس العربية استماعا أو حديث على مدى الساعة ، قراءة على الشاشة ، أو كتابة إلى الفضائية.

٥- سهولة وسائل الاتصال على مدى العالم كله ورخص ثمنه اجعل المستمع المشاهد في أي مكان يناقش المتحدث أو المتحدثين ، ويراجعه فيما يقول ، يتفاعل معه ، ويتحاور، فلا يكون الحوار من جانب واحد ، كما كان في السابق ، يجلس المتحدث أو أكثر ، يقول ما يريد ، دون أن يعقب على كلامه من أحد ، الآن اختلف الوضع.

٦- والآن تألقت فضائيات عربية عديدة ، وفي الأحداث الجسام ، كما حدث في العدوان على لبنان ٢٠٠٦ أو على غزة هاشم مؤخرا كانت الفضائيات الغربية تنقل عن الفضائيات العربية ، وعلى رأس هذي الفضائيات العربية المتألقة ،

الجزيرة محبوبة الجماهير ، المنار من بيروت الأبية مرفوعة الهامة دائما ، العالم ، الكوثر ، العربية ... الخ.

٧- وأرى السبب في تألق تيكم الفضائيات هو تفاعل العرب ومتحدثي العربية مع الأحداث والأمور ، بشكل لا نجده عند غير العرب ، سيما في الغرب ، حيث كل امرئ وامرأة هو وهي كل مشغول بخويصة نفسه ، بشكل عام ، ولا يشغل نفسه بالاعتداء والظلم على الآخرين ،هذه تخص الآخر الذي عليه أن يجاحش عن نفسه ومصالحه ، وليس على الآخرين تجشم شي - شيء - مما سبق.

٨- لكل هذا نرى أن الفضائيات العربية أسهمت وسوف تسهم في رفع راية الحرية وروح الحوار والتفاهم والتقدم في عالم العرب ، كما تربط المغترب والمهاجر بلغته وقومه في أي مكان من هذا العالم ، مهما نأى مهجره ومهجعه عن مضارب العرب من المحيط إلى الخليج.

ثانيا : ومن الفضائيات والإذاعات الموجهة ننتقل إلى كلام آخر ، هذه هي المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي التي تصدر في الحاضرة الهندية (دلهي الجديدة) باللغة الإنجليزية قد عنونت أحد أعدادها : Arabic outside the Arab World وقد حرر العدد المستشرق الهولندي الأشهر كيس فيرستيخ ، وكتب مقدمته التي ترجمناها إلى العربية ، كما ترجمنا الإصدار كاملا ، والذي تضمن مقالات حول العربية في :(أندونيسيا - إيران - مالطة - فلسطين المحتلة - الولايات المتحدة) ثم بحوثا حول المهاجرين العرب إلى (البرازيل - لندن - هولندة - ألمانيا).

محرر العدد أستاذ اللغة العربية بجامعة نيميخن الهولندية يقول في مقدمته : (وفي هذا العدد الخاص قررنا العمل سويا للحصول على مقالات في مختلف مشكلات العربية خارج العالم العربي ؛ لأننا نعتقد أن صورة اللغة العربية لا تكتمل بدون

معلومات عن العربية في الأقطار غير العربية ، وقد تصورنا في البداية أن من الممكن أن تغطي كل جوانب الموضوع في عدد واحد ، لكن سرعان ما وجدنا أن الأمر أكبر من أن يتضمن مجلد واحد كل شيء عن موضوعنا ، ومن ثم فإن هذي المقالات التي وضعت هنا في هذا الإصدار [1] ، تمثل - في الحقيقة - جزءا صغيرا جدا من هذا المجال الرحيب ... انتهى كلام فيرستيخ.

ثالثا : اللغة العربية لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة واليونسكو، وجميع مؤسساتهما ومكاتبهما ، منذ يناير ١٩٧٤، كما أنها لغة رسمية في [2] عدة منظمات إقليمية ، منها :

- الاتحاد الإفريقي ، مقره أديس أبابا ، حاضرة أثيوبيا.
- منظمة المؤتمر الإسلامي ، مقرها رباط المغرب.
- رابطة العالم الإسلامي ، في مكة المكرمة.

رابعا : وبعد هذا كله نقدم بعض شهادات ومشاهدات حول العربية خارج الوطن ، منها :

١- عبد الصمد عبد الله : شاب نيجيري وباحث التقيناه في ماليزيا عام ٢٠٠٧ إنه يرأس قسم اللغة العربية ودراسات الشرق الأوسط ، في مكان بعيد جدا عن عالم العرب ودنيا بني يعرب ، أين يا طيب الذكر ؟ في جامعة ملبورن في أستراليا ، إنه ليعجب لعشق بني الأشقر - الأوربين - كما يسميهم للغة العربية ، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر المشئومة.

٢- ومما يدل على عظيم اهتمام غير العرب باللغة العربية ما نراه من مؤتمرات حول العربية - كما أشير - منها مؤتمر قسم اللغة العربية بماليزيا ، بالجامعة الإسلامية

---

(١) عام ١٩٩٤م.
(٢) ثمرات من ثمر العهد الناصري.

٢٠٠٧ ، وقد اتفق على أن يعقد ذياك المؤتمر دوريا كل عامين ، وبالفعل يأتي المؤتمر القادم في ديسمبر ٢٠٠٩ حول أسلمة العلوم اللغوية والأدبية.

وفي مؤتمر باكو٢٠٠٨ والذي انعقد بحضور رئيس جامعة أذربيجان الدولية وبحضور أعضاء السلك الدبلوماسي العربي في العاصمة الآذرية ، فضلا عن الأساتذة والخبراء العرب والمستشرقين الآذريين والطلاب ، تيك الجامعة التي عقدت ذياك المؤتمر لم تك جامعة حكومية أو متخصصة في اللغة العربية ، إنما هي جامعة خاصة.

وعلى هامش المؤتمر زرنا جامعة القوقاز في ضواحي الحاضرة باكو ، وهي جامعة خاصة أنشأها الأتراك ، وزارها قبل مدة وجيزة الزعيم رجب طيب أردوغان ، فيها قسم للغة العربية ومركز للترجمة ، وبه خبير مصري ، موفد من الخارجية المصرية ، كان تلميذا لي في تربية دمياط العامرة.

وفي باكو يقوم المركز الثقافي المصري والذي كان عراب المؤتمر المذكور - بجهود طيبة لنشر اللغة العربية وتعليمها ، يقوم على إدارته الزميل الفاضل أ.د. عادل درويش الذي كان رئيسا لقسم الرياضيات في علوم حلوان ، ويعاونه الملحق الثقافي الفاضل الدكتور بغدادي محمد.

وقد طلب المركز الثقافي أن نقدم مشروع مقترح لإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية ، يخدم المنطقة أولا ، ثم بقية المناطق بعد ذلك ، وقد أرسلت المقترحات لمدير المركز عندما كان في إجازته بالقاهرة ، ووعد بتقديمه إلى المسئولين.

كما قامت السعودية قبل عام تقريبا بافتتاح مركز للغة العربية بجامعة العلاقات الدولية في موسكو ، تكلف ½ مليون دولار.

٣- وفي جامعة المنصورة تأتينا طلبات كثيرة لإنشاء أقسام للغة العربية في أوربة وأمريكا اللاتينية وإفريقية وغيرها ، وطلبات لبرامج وكتب وأساتذة ... للمعاونة في تعليم اللغة العربية ، وحبذا لو كان عندنا في مصر آلية لتلبية مثل هذي الطلبات ومتابعتها.

خامسا ـ الكاتب الأسباني (كاميلو خوزي سيلا) يرى أنه من بين هذي الآلاف من اللغات على المعمورة ، سوف تبقى ٤ لغيات ـ لغات ـ فقط ، هي :

- لغيتان في الغرب ، هما : الإنجليزية والأسبانية.
- لغيتان في الشرق : الصينية والعربية.

توقع مقبول يا كاميلو ، يا ابن خوزي.

سادسا ـ وأخيرا فكما أن في مضارب بني يعرب جمعيات راعية مجاحشة عن العربية ، فإن في خارج الوطن جمعيات مماثلة ، ربما تكون أكثر نشاطا من نظيراتها في عرين العربية ومعقلها ، من تيكم الجمعيات :

١ـ جمعية اللغة العربية بماليزيا : أسست في ١٩٨٧/١١/١٢ في مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية في ضاحية بيتالنج جايا في الحاضرة كوالالمبور (حرم الجامعة الإسلامية ... القديم) قبل أن تنقل إلى الحرم الجديد المترامي الأطراف في ضاحية (جومباك) ، شمال العاصمة.

وسجلت الجمعية رسميا في ١٩٨٩/٥/٢٢ ، وفي عام ١٩٩١ انتقل مقر الجمعية إلى المركز الإسلامي الماليزي ، بعد اتفاق التعاون بين الجمعية وبين إدارة الشئون الإسلامية الماليزية.

الدكتور إسماعيل إبراهيم - مدير مركز اللغات الأسبق في الجامعة الإسلامية - ظل رئيسا للجمعية ، يعاد انتخابه في كل مرة حتى عام ٢٠٠٥.

عضوية الجمعية مفتوحة لأي ماليزي يزيد عمره عن ١٨ سنة ، يرغب في الانتساب إليها ، ويوافق على أهدافها ، كما جاء في لائحتها الأساسية ، وتتوافر لديه شروط العضوية ، ويوافق مجلس الإدارة على عضويته ، أما عن أهداف الجمعية ، فمنها :

أ - توفير المناخ المناسب والتسهيلات المختلفة لمن يرغب في تعلم اللغة العربية من الأعضاء.

ب- حث أعضاء الجمعية خاصة والماليزيين عامة على تعلم اللغة العربية ، والتعرف على الثقافة الإسلامية ، وتوسيع نطاق انتشارها ، بطرائق متنوعة وملائمة.

جـ- تقديم المعاونة - سيما - لأعضاء الجمعية ، لفهم معاني القرآن الكريم والحديث الشريف ، وغيرهما من المصادر العربية.

د- إقامة الأنشطة المختلفة التي ترفع من مقوى اللغة العربية والثقافة الإسلامية لدى الأعضاء وغيرهم من أفراد المجتمع الراغبين في ذلك.

وفي زيارة ماليزيا ٢٠٠٧ تعرفت على بعض الناشطين في الجمعية ، الذين تفضلوا علينا ببعض نشرات الجمعية وأنشطتها ، ومنها نقلنا المعلومات السابقات.

كما أطلعت في إحدى النشرات على أعضاء مجلس الإدارة عامي ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ وفيهم بعض تلامذتي الذين درست لهم عند عملي في الجامعة الإسلامية العالمية ١٩٩٠ - ١٩٩٢ ، والآن إلى جمعية أخرى :

٢ـ إنها ليست في أقصى الشرق من آسيا ، لكن في الغرب من تيك القارة ، إنها جمعية اللسان العربي الدولية ، في مدينة أصفهان، مدينة العلم والعلماء والأكابر في الصلاح والتقى، هذي المدينة التي شرفت بسلمان (ﷺ) الذي قال فيه حبيبه : (سلمان منا آل البيت) يقود هذه الجمعية ويرعاها العلامة الدكتور محمد خاقاني ، وبرغم أنها لم تكمل شمعتها الثانية، لقد كان ميلادها السعيد منذ أقل من عامين ، في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٧ ، لكنها جمعية واعدة نشطة ، لا كغيرها من الجمعيات ، له مجلة إلكترونية تفتح ذراعيها لأخبار العربية وشئونها وشجونها وفرسانها وبحوثها والمجاحشين الذابين عن لغة القرآن وأمة القرآن ، والحق والعدل.

كما تتكرم علينا بإرسال أخبارها وأخبار العربية ومؤتمراتها وندواتها وورش عملها لمن أراد على بريده الإلكتروني ، لذا هي حلقة وصل جيدة بين محبي العربية وقيم العدالة والنزاهة عبر العالم.

فأما الجمعيات الراعية للعربية داخل الوطن فقد سبق حديثها ، ونكتفي بالحديث عن نموذجين فقط ، من الجمعيات خارج مضارب بني يعرب.

أما الجامعات والمؤسسات والمدارس والأقسام والكليات العربية أو المعنية بالعربية فهذا لا تحصي كثرة أو عددا ، ويكفي أن نذكر منها :

- الجامعة الإسلامية في (نيامي [١]) حاضرة جمهورية النيجر التي تقع جنوب الجزائر وليبيا ، أما العاصمة فتقع في الجنوب الغربي من البلاد ، على حدود بوركينا فاسو [٢].

---

(١) تقع العاصمة (نيامي) فى أقصى الجنوب الغربى من البلاد على الحدود الشرقية لبوركينا فاسو .
(٢) كلا البلدين النيجر وبوركينا من البلدان الحبيسة التي لا شواطئ لها ، على البحار أو المحيطات.

ومنذ سنوات سافر أحد الزملاء من تربية دمياط فنزل ضيفا على الجامعة ، وعاد ومعه ستة مجلدات من حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر التي يرأسها أ.د. عبد العلي الودغيري، تيك الحولية التي تصدر مرة كل سنة ، تصدر باللغة العربية ، وبعض الأوراق باللغة الفرنسية ، وهي تركز على الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية التي تخص غرب القارة ، ودول جنوب الصحراء.

وقد أرسلت له دراسة حول العلاقات بين إمبراطورية البرنو الإسلامية وبين خلافة صكتو من خلال الحوار بين الإمام محمد الأمين الكانمي وبين علماء صكتو ، وقد قبلت الجامعة نشرها ، وطلبت مني عدم نشرها في مكان آخر.

- الجامعة الإسلامية في الباكستان.
- الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا معقل مهم من معاقل اللغة العربية.
- مدرسة العلوم العربية في كنو شمال نيجيريا ، ومركز التعليم العربي الإسلامي في (أغيغي) في نيجيريا أيضا ، والذي أسسه وقام على إدارته حتى وفاته العلامة آدم عبد الله الإلوري (ت ١٩٩٢م) صاحب التواليف العربية المهمة الرصينة ، الذي كان يردد : (العرب قاطرة الإسلام) وقد صدق.

ومن تآليفه العربية المهمة ، والتي نشرت في مصر التي زارها مرارا ، وكان لا يستريح ولا يستجم إلا فيها ، أو نشرت في بعض الحواضر العربية : (الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي ت ١٨١٧م - موجز تاريخ نيجيريا - تاريخ الدعوة الإسلامية . نظام التعليم العربي ...) إلخ.

- جامعة جالا الإسلامية : في جنوب تايلاند ، وهي تضيء الشمعة الثانية في عمرها ، بها ٤ كليات حتى الآن ،وفى الطريق كلية للتربية ،كل هذه الكليات سوف تكون نورا ونبراسا يخدم المدارس العربية في ذياك البلد القصي جدا عن ديار العرب ، المحب كثير من أبنائه لغة العرب ، ومصر العروبة لدرجة أنه يشيع بين محبي العربية هنالك عبارة : من تعلم العربية ولم يزر مصر فكأنه لم يتعلمها ، ولله في خلقه شئون وشجون.

انتهت المادة الخامسة من دستور العربية

وما أفاض الله به من شرح لها ، والآن

إلى المادة السادسة بحول

الله وطوله ومعونته



المادة السادسة

{٦}

كل لغة هي فريدة في نوعها ومتميزة ، وهو ما يتضح في لغتنا العربية ، ليس كل اللغات واحد وعلى شاكلة واحدة ، هي ليست سواء.

من قال بهذا ، من به نبأ وتكلم ؟ إنه اللغوي الاسترالي ستيفن أ . وارم ، ومن يكون الرجل ؟ تعرفه لنا مجلة ديوجين الصادرة بلسان العرب من الحاضرة القاهرة ، عام ١٩٩٩ (١) ، قبل أن تختم الألفية الثانية ويبزغ نجم الألفية الحالية الثالثة.

ولد في بودابست المجر، حصل على الدكتوراه من جامعة فينا حاضرة النمسا ويقوم بالتدريس في جامعة سيدني ، وهو أستاذ فخري للغويات في الجامعة القومية الاسترالية ، هاجر إلى استراليا ١٩٥٧ ، وأنشأ بالجامعة القومية المذكورة قسم اللغويات ، وفي ١٩٦١ بدأ سلسلة من الكتب بعنوان : (لغويات منطقة الباسفيك) بلغت ٤٠٠ كتاب ، فقط ؟ فقط.

وهو يرأس المشروعات البحثية لمناطق الباسفيك ، وشرق آسيا ، وجنوب شرق آسيا ، وذلك في الأكاديمية الاسترالية للعلوم الإنسانية ، كما أنه المسئول عن

---

(١) ص ١٤١.

إصدار أطلس كوريا اللغوي ، وهو مؤلف لأكثر من ٣٠٠ نشرة ثقافية تتعلق بلغويات منطقة المحيط الهادي وآسيا ، ومن هذي النشرات :

- لغات أستراليا وتسمانيا.
- اللغات البابيوانية في منطقة الأقيانوس.
- أطلس منطقة المحيط الهادي.
- أطلس الصين.
- أطلس لغات التواصل الثقافي في منطقة المحيط الهادي وآسيا والأمريكتين.
- أطلس لغات العالم المعرضة للاندثار.

لغوي مهم وركن شديد في العمل اللغوي العالمي ، وإن كان يعيش في مكان ناءٍ / نائي من هذي العالم ، في أقصى الجنوب الشرقي في قارة أستراليا.

الرجل يناقش نظريتين الأولى مرجوحة مرفوضة ، وهي أن اللغات جميعا واحد ، لا شيء يميزها ، والنظرية الثانية الراجحة الصحيحة أن اللغات ليست سواء، وهو ما ينطبق على لغتنا العربية.

النظرية الأولى المرجوحة أن كل اللغات واحد ، هي سواء كأسنان المشط ، وإذا كان الأمر كذلك فجميع اللغات هي ، هيه ، من حيث المبدأ ، معرفة لغة واحدة - الإنجليزية مثل يكفي - لأن هذه النظرية نشأت في الولايات المتحدة ، هذي اللغة الواحدة تكفي لفهم كل شيء عن لغة الإنسان ، إذ المتكلمون بشتى اللغات يشيرون إلى عناصر العالم المادي وغير المادي فيما حولهم بذات المجموعة من رموز المفاهيم التي ضمنوها كلمات وتعبيرات في لغاتهم ، صحيح هذي الكلمات والتعبيرات تختلف من لغية إلى لغية ، لكنها في المقابل قابلة للترجمة ، وبشكل متبادل ودقيق ١٠٠% ، وربما بشكل آلي.

ومن حديث ستيفن وارم نستطرد إلى خبير التفاوض الأمريكي دين آلان فوستر ، بما أن النظرية السالفة أمريكية ، يحكى فوستر ، فيقول :

الأمريكيون هم - لأسباب عديدة ، بعضها جغرافي ، وبعضها يتعلق بخبرتهم كمهاجرين - مشهورون ؟ بأي شيء هم مشهورون يا فوستر ؟ مشهورون - أيها السادة - بجهلهم اللغوي ، لدرجة أن النكتة الشائعة في أوربة - في هذا الصدد - هي :

ماذا نسمى شخصا يتحدث ثلاث لغات ؟ نسميه ثلاثي اللغة ، وماذا نسمي من يتحدث لغتين ؟ نسميه ثنائي اللغة ، وماذا نمي شخصا يتحدث لغة واحدة ؟ نسميه (أمريكيا).

ولأجل هذا وبسبب هذا فإن الرئيس السابق جورج بوش قرر قبل رحيله بشهور من قصر الرياسة تخصيص مبلغ يربو على ١٢٠ مليون دولار لتعليم اللغات الإستراتيجية مثل الفارسية والعربية والأردو ، لقد زلزلت أحداث الحادي عشر من أيلول المشئومة وما تلاها من توابع وزوابع كثيرا من النظريات والمسلمات.

ومرة أخرى مع اللغوي المجري المولد الأسترالي المقام ، إذ يوكد على أنه مع اليقظة المتجددة المتزايدة والدراسة المتقنة لكثير من اللغات في العقود الأخيرة - سيما اللغات غير الأوربية - أصبح من الواضح الجلي أكثر فأكثر أن النظرية سالفة الذكر متصدعة ومليئة بالأخطاء بدرجة خطيرة.

الآن يدرك كثير من اللغويين أن كل لغة تعتبر فريدة من نوعها ، ومتميزة في بعض النواحي ، إنها تعكس الطرائق المختلفة التي يتفاهم بها المتكلمون مع عالمهم ويشكل بها المتكلمون فلسفتهم ووجهة نظرهم عن العالم ، ويقدم بها المتكلمون

عناصر إدراكهم للعوالم الفردية المختلفة الخاصة بهم ، والتي لها هوامش وإضافات فريدة ، غالبا ما تكون غير قابلة للترجمة على نحو مباشر من لغة إلى أخرى.

اللغويون المعنيون باللغات الأوربية الكبرى والرئيسة ربما لا يلحظون هذا ؛ لأنه مع الاتجاه القوي للغاية لمعظم ثقافات المتكلمين باللغات الأوربية الرئيسة في العقود الأخيرة نحو الاتساق والتماثل ، أصبحت آراء العالم ـ التي تشكل الأساس للغاتهم المختلفة ـ متشابهة للغاية وعلى نحو متزايد.

لكن ، ولكن وفقا لنتائج الدراسات الدقيقة عن اللغات غير الأوربية ، والغريبة المختلفة عن اللغات الأوربية ، تيك اللغات المختلفة والمتمايزة عن بعضها (والتي تشكل الغالبية العظمى من لغات العالم) فإنه يمكن القول ـ بكل توكيد وثقة ـ بأن الآراء عن العالم والفلسفات التي تشكل أساسها ومنطلقها مختلفة للغاية في معظمها[1].

كل هذا صح وصحيح ، حق وحقيق ، قد أحسنت ـ يا ستيفن ـ ولكن الأمثلة يا صاح ، ويا زميل المهنة ؟ قبل أن ننقل عن اللغوي الاسترالي نستأذن القارئ أن نقتبس مثالا من فوستر [2] ، حيث يقول : غير الإسكيمو حين يمعن النظر إلى الجليد والثلوج والأمطار لن يرى فيها غير شيء أبيض ، أما رجل الإسكيمو فهو الذي يستطيع أن يميز بين ٣٦ نوعا مختلفا من الثلوج ؛ لأن هذي الأنواع تلعب دور مهما في حياتهم وأصل وجودهم ، وضمان بقائهم ، عندما ينظر غير الإسكيمو لهذا المنظر هو يختار فقط الملامح الرئيسة العامة ، التي يستطيع فهمها واستيعابها من خلال مفهومه الثقافي ، ويستبعد ما عدا هذا.

---

(١) ديوجين ، العدد ١٨ / ١٢٩ ، ص٧٤.
(٢) السابق ، ص٨٨.

انتهى كلام فوستر فهل آن وقت العودة إلى ما يقول ستيفن ؟ كلا ، عندي شهادة مهمة لرجل هو عراب السياسة اللغوية للصين ، والتي أصبحت مثلا يحتذى لدى أمم كثيرة ، إنها الابتعاد عن إسار وضيق اللغة الواحدة أو أكثر ، والانفتاح على اللغات بشكل أوسع لمخاطبة كل أمة بلغتها ، وهو ما جعل الصين تنجح في تسويق منتجاتها كما ـ لم ـ ولن تسطيعه ـ وتسطعه ـ دولة أخرى في العالم.

عند افتتاح كلية اللغات الأجنبية التي أصبحت جامعة ، أو المعهد الثاني ألقى الرئيس شوان لاي كلمة تحدث فيها عن أهمية اللغات الأجنبية وأهمية دراستها ، فكان مما قال : إن لكل لغة طريقتها في التعبير ، بعض اللغات لديها قدرة كبيرة على إيصال المعنى بعبارة مختصرة ، لا يجاريها في هذا غيرها ، الرئيس ضرب مثلا باللغة العربية ، كيف بالله عليك ؟ قال : لما انقسم العالم إلى قوتين كبيرتين ، هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة كانت اللغة العربية هي الوحيدة التي عبرت ـ بما لديها من صيغة للمثنى ـ عن الظاهرة العالمية الجديدة بطريقة مباشرة مختصرة ، فقالت : (قوتان) في حين قالت لغات أخرى ، مثل الإنجليزية two powers ، وهنا فهم الحضور أن الرئيس شوان لاي يوجه الأنظار إلى إعطاء اللغة العربية القدر اللائق بها من [1] الاهتمام ، في بلاد العرب ؟ كلا ، في بلاد الصين ، يا بني يعرب : اطلبوا العلم والحكمة ، ولو في الصين.

ومن الصين نرحل سراعا سراعا خفافا إلى استراليا مرة أخرى ، مع اللغوي ستيفن وارم ليضرب لنا أمثلة عن تمايز اللغات نختار بعضها ، ومنها اللغة العربية ، حيث يقدم لما يقول عن هذا التمايز بما يلي :

(١) بدوي ـ طريق الحضارة ... المجلة العربية للثقافة ، العدد ٣٨ ، تونس مارس ٢٠٠٠ ، ص٣١٥ ـ ٣١٦.

الأمثلة المذهلة يقدمها معجم اللغات المحلية وبعض اللغات الأخرى الذي يحتوي في بعض الأحيان على عدد لا حصر له من الكلمات المختلفة من أجل تسمية تشكيلة متنوعه من الأشياء التي تعتبر مهمة عند المتكلمين من الناحية الثقافية :

١ـ في اللغة البابوانية (نسبة إلى بابوا الجنوبية أو غينيا الجديدة) خمسون كلمة أو نحوها لشجرة جوز الهند ، للشجرة الصغيرة التي لما تنتج كلمة ، وأخرى للشجرة ذات البراعم فقط ، وثالثة للشجرة الناضجة المثمرة التي يقبل الناس على تناول المشروب داخلها ، وأخرى لما تثمر ما يؤكل ما فيها من الثمرة المجففة ، أو الشجرة التي تم حصاد ثمرها ، كلمة للشجرة الطويلة ، وثانية للقصيرة ، أو الشجرة العتيقة التي توقفت عن الإثمار ، أو الشجرة التي توفر أوراق النخيل فقط ، وهناك كلمة عامة شاملة ، من أجل جوز الهند بشكل عام ، ولكنها نادرا ما تستخدم ، إذ تعود الناس على كلمات محددة عندما يشيرون إلى هذا النوع من الشجر الذي ينتشر كثيرا في بلادهم.

٢ـ اللغة العربية ـ والصومالية ـ بهما أسماء عديدة للجمل ، وفقا لنوعيته وطبيعته ونوعية الاستخدام الذي يستخدم فيه ، ووفقا أيضا لصفاته وخصائصه ، مثل : (الجمل ـ الناقة ـ الجزور ...) وغيره كثير وكثير ، ونذكر أننا عندما درسنا زكاة الإبل في الفقه اتضحت هذه المسألة بشكل جيد ، كيف ؟

هذا مثال به يتضح ويظهر المقال :

أ ـ إذا بلغ عدد الجمال ٢٥ ففي زكاتها (بنت مخاض) ناقة لها سنة ، ودخلت في الثانية.

ب ـ إذا بلغت ٣٦ ففيها ابنة لبون (لها سنتان ودخلت في الثالثة).

جـ ـ وفي ٤٦ حُقة (عمرها ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة).

د- وفي ٦١ جَذَعة (لها ٤ سنوات ودخلت في الخامسة) [١].

انظر : العمر هو الذي يحدد الكلمة المناسبة للجمل أو الناقة ، ذكرا كان أم أنثى ، وذلك لكثرة الجمل في جزيرة العرب وأهميتها القصوى ، حتى قبل : هو سفينة الصحراء.

وما سبق عن الجمال وعمرها يشير أيضا إلى الصلة بين الأرقام واللغة ، فسن الجمل أو الناقة هو الذي يحدد الكلمة التي تطلق عليه.

والشيء بالشيء يذكر ، فلا يعاب من أحد ولا ينكر ، فهذي الكلمات تحدد أيضا عمر الإنسان وحالاته من جنين في بطن أمه إلى مولود وطفل وصبي ويافع ومراهق وشاب وكهل وشيخ ... الخ كلمة شيخ تطلق على الرجل أما المرأة فهي عجوز ، قال تعالى على لسان زوج نبي الله إبراهيم - عليهما السلام : (قالتْ : يَا وَيْلَتَى أَألِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي [٢] شَيْخاً) صدق الله العلي العظيم.

ليس الجمل وحده صاحب القدح المعلي من العناية والرعاية في دنيا بني يعرب ، البلح له ذات أهمية أو قريبا منها : (البلح والرطب والبُسر والحشف ... الخ) السيف هو الآخر (السيف والقاطع والمهند والصمصام والحسام ...) الأسد واللبوة والضيغم والشبل والهزبر ... الخ حتىّ بلغ بعضها منين من الكلمات ، يدعى بعض الرادّين المعارضين أنها كلها صفات وليست أسماء للشيء ، حتى لو كانت صفات ، فهي صفات لشيء واحد ، أو هي صفة محددة لنوعية هذا الشيء ، أو حالته أو حتى عمره.

---

(١) راجع فقه السنة ٣ / ٧٧.
(٢) ٧٢ هود.

٣- ومع اللغة العربية أيضا ، وفيها أسماء عديدة للمناطق الصحراوية طبقا لخامتها ومكنوناتها ، هل هي رملية ، أو صحراوية أو صخرية ، أو تجتازها قنوات مائية جافة ... الخ.

هذا مثال استقيناه من المعجم الكبير : (الحرَّة : أرض صلبة غليظة ، تغطيها حجارة سود نخرات ، كأنها أحرقت بالنار ، وأصلها طفوح بركانية قاعدية (ضد حمضية) فقاعية والحرة : الأرض الصلبة الشديدة يترجل فيها ، ولا تسطيع الدواب أو العربات أن تقطعها.

وللعرب ـ أو قل في بلاد العرب ـ حرار كثيرة ، أشهرها حرار الحجاز الخمس ، والحرار المحيطة بالمدينة ، وفي إحداها ، وهي حرة واقم حدثت وقعة الحرة ـ أو قل فاجعة الحرة ـ عام ٦٣ في عهد يزيد بن معاوية [١] (ت ٦٤ هـ) التي شابت لها الولدان ، والأجنة في بطون أمهاتها.

حرار كثيرة من هذا النوع كانت بجزيرة بني يعرب ، منها إضافة إلى ما سبق، الحرار المحيطة بواحة خيبر ، وحرة بني سليم ، أو حرة [٢] رهاط.

نخلص من كل ما سبق أن اللغات ليست البتة سواء ، بل كل لغة ترتكز على وجهة نظر عالم مختلفة تماما ، ما رسخ الحقيقة القائلة بأنه إذا اختفت لغة فإن هذا يعني أن عنصرا لا يمكن استعاضته في منظومة الفكر الإنساني والفلسفة الإنسانية قد ضاع ، وللأبد اختفى.

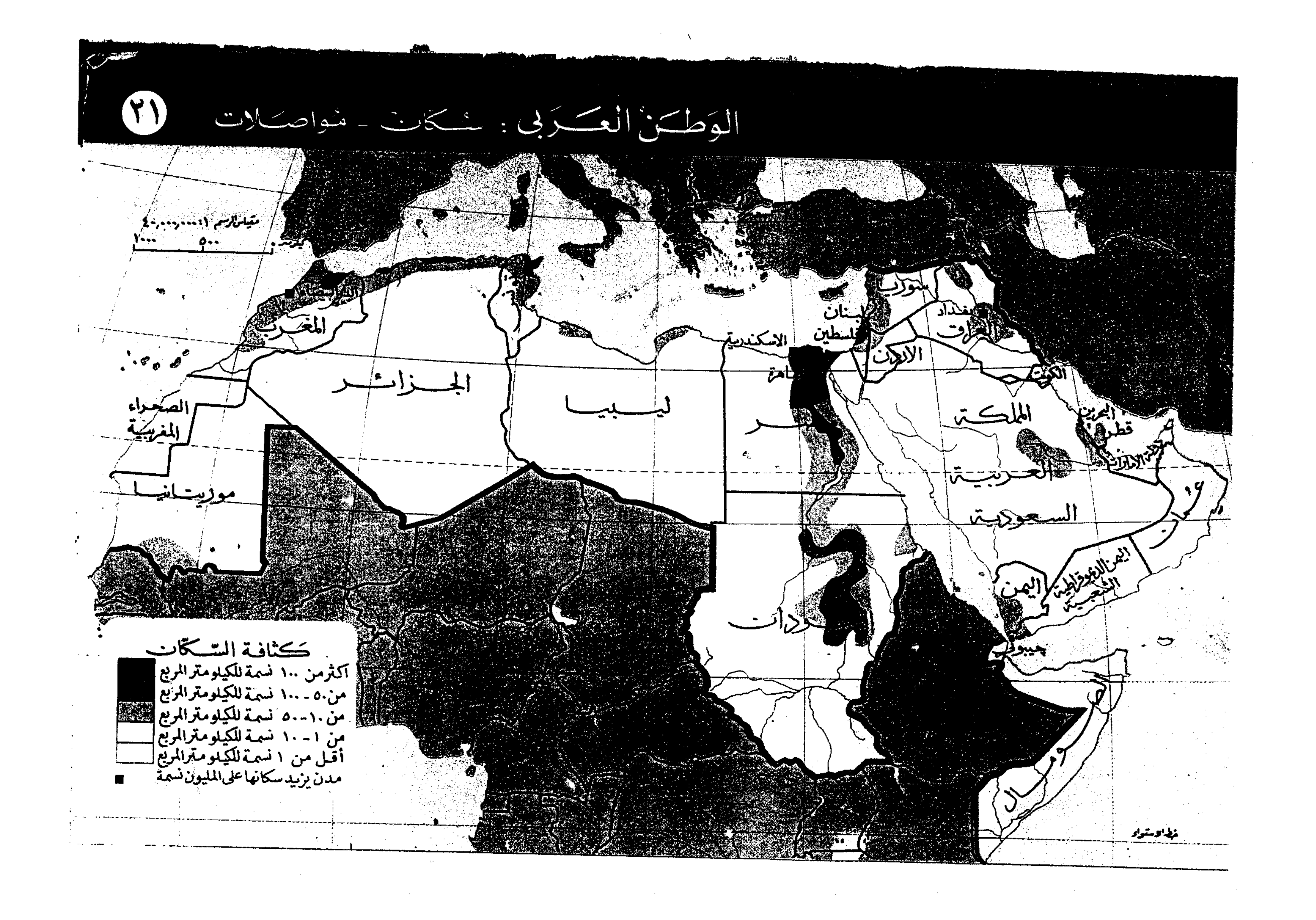
(١) راجع بعض تفاصيلها الفاجعة في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢١٠/١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، ٢٠٩.

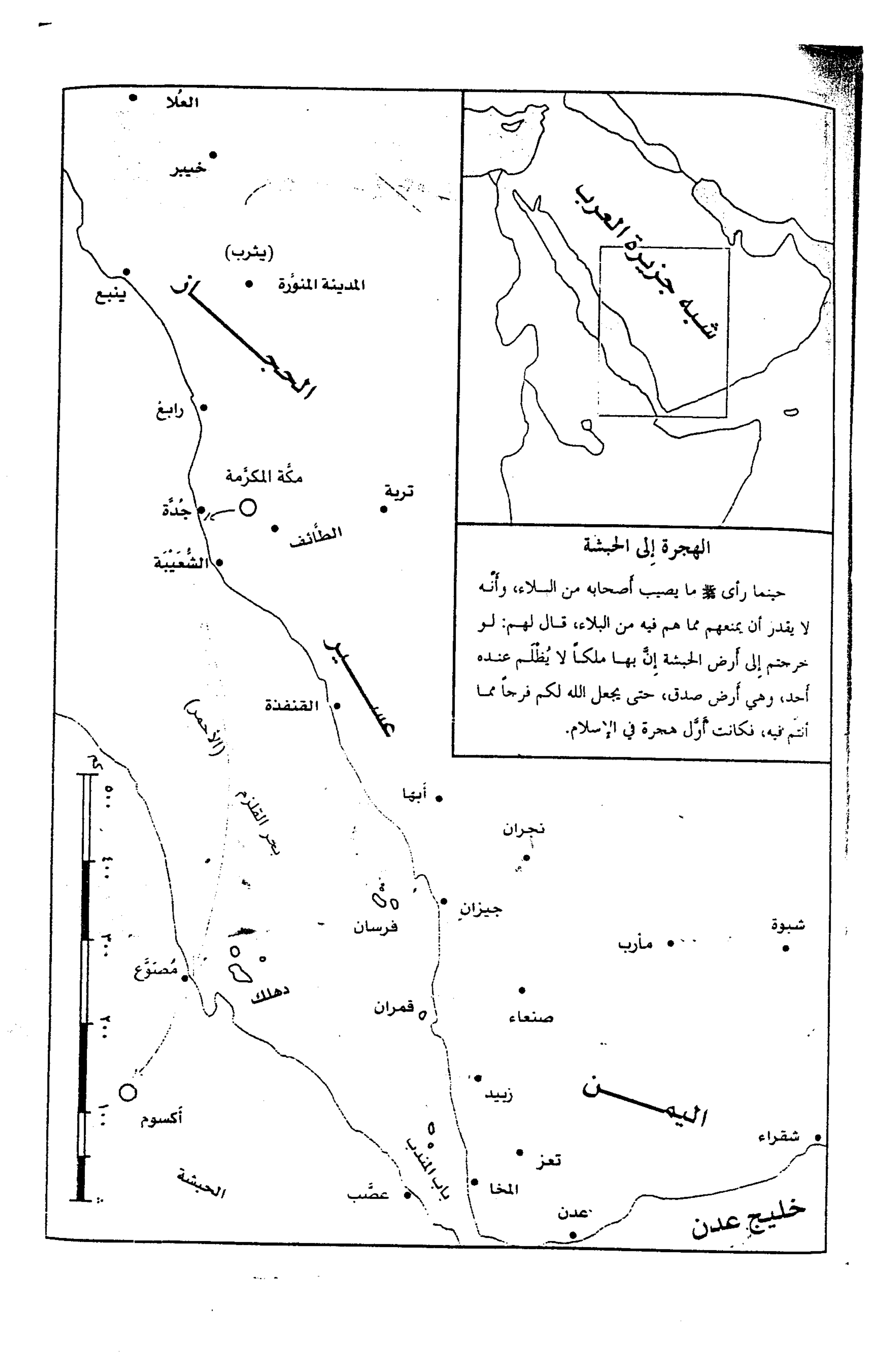
(٢) المعجم الكبير : ٥ / ٢٢٥ ، ٢٢٦.

ومن ناحية فإن الثنائية اللغوية والتعددية ـ وليس الأحادية اللغوية أو الثقافية أو أحادية القطب أو الرأي هو النموذج المعياري السائد في أرجاء كثيرة من العالم ، مثل : الهند ، وبابوا (غينيا الجديدة) وكالدونيا الجديدة وسويسرا وفلندة وأندونيسيا والفلبين وباراجواي ، وأجزاء أخرى من أوربة وإفريقية.

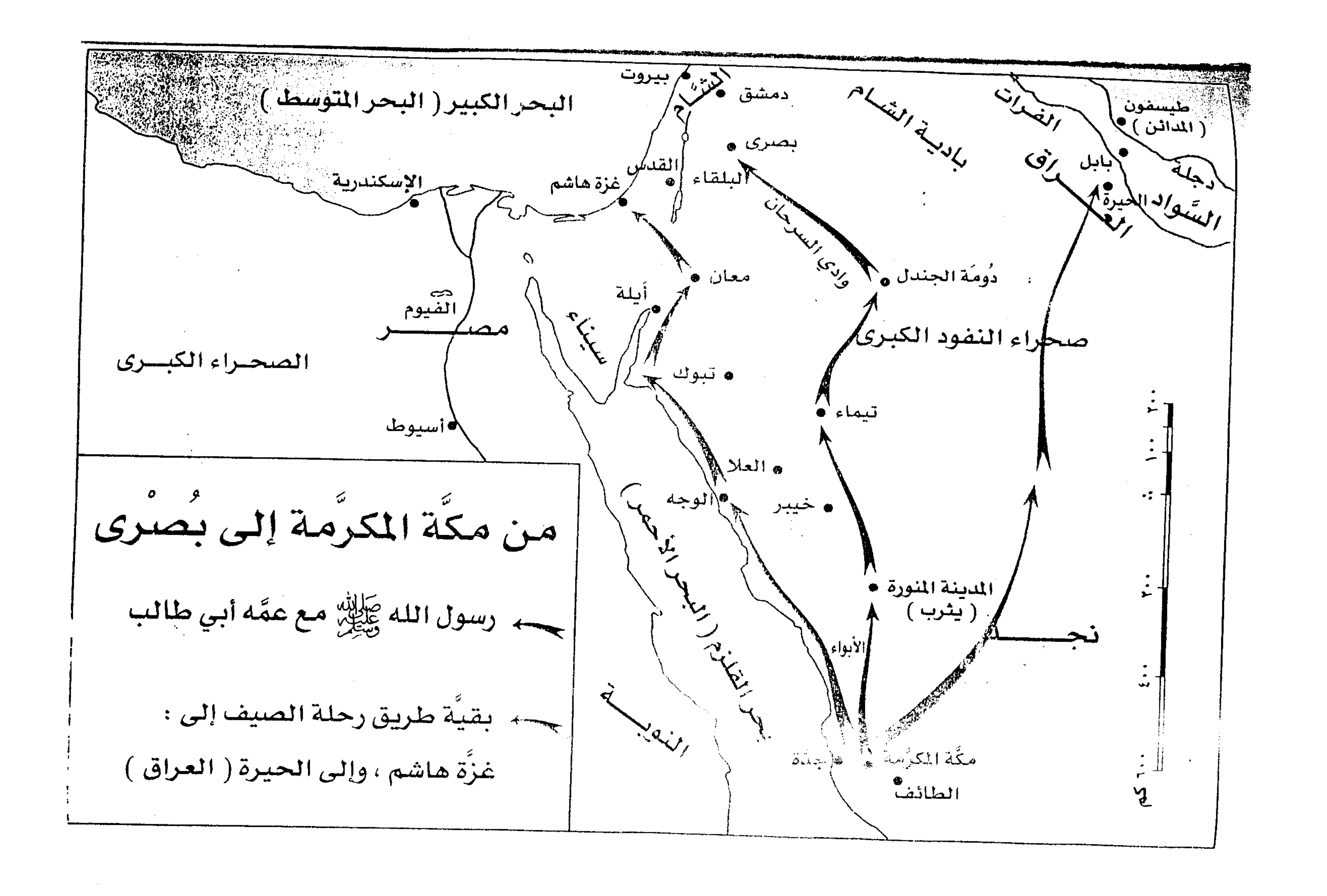
بل مصائب العالم المعاصر وأهم الفواقر والقواصم والصواعق ـ وإنها لإحدى الكُبَر ـ القطب الواحد الذي يفرض اللغة ـ الواحدة والثقافة الواحدة والرأي الواحد والسياسة الواحدة في كل شيء في هذه الحياة ، ويسمى الإبادة وقتل البشر وهدم الحجر وإهلاك الشجر والمدر إصلاحا وحرية وديمقراطية ، في البلاد الجريح التي تدمى من جوانبها في فلسطين وعراق العرب وأفغانستان والصومال وباكستان ، ينتقي المحتل أهدافه بدقة من بين الأعراس والمناسبات ومجالس العزاء حتى يظفر طياروه أو طائراته بقتل أكبر عدد ممكن من البشر ، فإن افتضح الأمر وبان الشر قيل : هو خطأ ، هو خطأ وسوف ننبه الطيارين بتحر أكثر للأهداف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوطن العربي : سكان - مواصلات ٢١





شبه جزيرة العرب
العُلا
خيبر
(يثرب)
المدينة المنوَّرة
ينبع
الحجاز
رابغ
مكَّة المكرَّمة
تربة
جُدَّة
الطَّائف
الشُّعَيْبَة
عسير
القنفذة
بحر القلزم (الأحمر)
أبها
نجران
جيزان
فرسان
شبوة
مأرب
مُصَوَّع
دهلك
قمران
صنعاء
زبيد
اليمن
أكسوم
شقراء
تعز
الحبشة
باب المندب
المخا
عصَّب
عدن
خليج عدن
الهجرة إلى الحبشة
حينما رأى ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنّه
لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو
خرجتم إلى أرض الحبشة إنَّ بها ملكاً لا يُظلّم عنده
أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما
أنتم فيه، فكانت أوَّل هجرة في الإسلام.



من مكَّة المكرَّمة إلى بُصْرى
رسول الله ﷺ مع عمِّه أبي طالب
بقيَّة طريق رحلة الصيف إلى :
غزَّة هاشم ، وإلى الحيرة (العراق)
البحر الكبير (البحر المتوسط)
بيروت
الشام
دمشق
بصرى
البلقاء
القدس
غزة هاشم
الإسكندرية
بادية الشام
الفرات
العراق
طيسفون
(المدائن)
بابل
دجلة
الحيرة
السَّواد
معان
أيلة
دُومَة الجندل
وادي السرحان
الفَيوم
مصر
سيناء
صحراء النفود الكبرى
الصحراء الكبرى
تبوك
تيماء
أسيوط
العلا
الوجه
خيبر
المدينة المنورة
(يثرب)
الأبواء
نجد
بحر القلزم (البحر الأحمر)
النوبة
مكَّة المكرمة
الطائف

المحتويات